دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

السريان والحضارة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

السريان والحضارة الإسلامية

دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٧٥



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

مقدمة

في هذه الفترة من حياة أمتنا العربية ، إستشعر مسئوليتنا نحن الدارسين في أن نسلط الأضواء على علومنا وآدابنا لتتكشف حقائقها ، وتتضح معالمها .

وحضارتنا العربية تحتاج منا إلى مزيد من البحث والدراسة لنقف بأنفسنا على أصولها ومصادرها الأولى ، ونتبين السبل التي سلكتها لكي تصل إلينا ، ونتعرف على هؤلاء الذين حملوها حتى أخذناها عنهم ، ثم نقوم بعد ذلك دورنا في تنمية تلك الأصول ، ونوضح الجديد الذي أضفناه لها ، ونرصد العناية الفائقة بكل ما من شأنه أن يرقى بالعقل البشري .

يقول ماكس فانتاجو في مقدمته لكتابه « المعجزة العربية » « فتقديري أن من يستقل مركبا لسفر الحياة دون أن يدرس ، بل دون أن تكون بين يديه مخططات كاملة لتاريخ حضارتنا هو من حداثة العهد بحيث يكون كالمسافر الذي يرحل دون خوارط في سفرة طويلة [1] » .

وهذا البحث هو شمعة على الطريق ، أضعها وكلى أمل أن تكثر الشموع إلى جوارها لتظهر في ضوئها حضارتنا في ماضيها ، فنعز بها عزتنا بما نلمسه اليوم بأنفسنا .

يقول جرجي زيدان « إن تاريخ الأمة الحقيقي هو تاريخ تمدنها وحضارتها » [2] وقد كانت هذه الدراسة استجابة لنداءات طالما رددها الباحثون من ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من حضارتنا .

---

(1) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ١٠

(2) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ المقدمة

ويقول دى بور « إن تتبع دخول اليونان فى مدنية الشرق الكثيرة العناصر هو من الناحية التاريخية جدير أن يشوق الباحثين، ولاسيما إذا قاسينا الفلسفة اليونانية، ولم ندقق فى مقارنة الفلسفة الإسلامية بها، ولهذا البحث شأن عظيم، إذ أنه يتيح لنا فرصة مقارنة المدنية الإسلامية بغيرها من المدنيات »(١).

ويقول ماكس مايرهوف « إن العصر الذى انتقلت فيه العلوم اليونانية إلى العرب عصر غامض، وممتع معا » (٢).

ويقول الدكتور تمام حسان « إننا مع الأسف نلحظ فى المكتبة العربية فقرا واضحا فى الكتب التى تدور حول اكتساب العرب ثقافة الشعوب المجاورة من ناحية، وحول أثر ثقافة هذه الشعوب فى دراساتهم اللغوية والدينية » (٣).

ولقد كان السريان هم حلقة الاتصال بين العلم الإغريقى والإسلام، لذلك ليس غريبا أن يكون لهم دور كبير فى تغذية الحضارة الإسلامية بكل ما كان من شأنه أن يكفل لها النمو والازدهار. وهذا ما فصله البحث فى صفحاته. وقد قسمته إلى خمسة أبواب:

الباب الأول: أوليات الحضارة فى الهلال الخصيب.

وقد قسمته إلى فصلين:

---

(١) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٣٤

(٢) ماكس ماير هوف: من الإسكندرية إلى بغداد ص٣٧

(٣) الدكتور تمام حسان: مقدمة كتاب مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب تأليف أوليري

الفصل الأول : تكلمت فيه عن البيئات التى عاش فيها الآراميون ، والحضارات التى توالت فيها وتأثرهم بها ، ثم العــوامل التى أدت إلى اندثار حضارتهم .

الفصل الثانى : تحدثت فيه عن السريان ، وعرضت للأسباب التى من أجلها سموا باسمهم هذا ، ثم بينت مدى فهم مؤرخى العرب القدماء لهذه التسمية .

الباب الثانى : المراكز الثقافية فى الشرق القديم .

تحدثت فيه عن الإسكندرية ، وحران . وجنديسابور ، والرها ، ونصيبين ، وبينت النشاط الثقـافى الذى قام فى كل منها ، والعوامل التى أعانت عليه ، ثم درست اتصـــالها بالمسلمين ، والنتائج التى ترتبت على هـذا الاتصال ، وأوضحت الدور الذى قامت به فى خدمة الحضـارة العربية ، ومدى تأثيرها فيها ، والأفكار التى انتقلت منها .

الباب الثالث : جهود السريان فى الحضارة العربية قبل الإسلام .

وقد عرضت فى هـذا البـاب لعـــدم اهتمام العرب بتـاريخهم فى الجاهلية ، والأسباب التى أدت إلى ذلك ، وما ترتب على هـذا المسلك من نتـائج ، ثم بينت أثر السـريان فى الجانب الحضـارى من الحيـاة العربية قبل الإسلام وبخاصة فى دولة الأنبـــاط ، وتدمر ، وإمارة الغساسنة ، والحيرة .

وفى هذا النطاق عنيت بانتقال الأفكار الهلينية إلى العرب ، والدور الذى قام به اليعـاقبة والنسـاطرة فى هـذا السبيل ، وذكرت ما أفاده العـرب من هؤلاء فى هـذه الفترة من تاريخهم ، فأشرت إلى العنـاصر

الحضارية التى دخلت البيئة العربية عندئذ ، وبينت دور المسيحية فى تحويل أفكار العرب من الوثنية إلى أفكار أسمى ، كما أوضحت النزعات المسيحية التى بدت عند بعض شعراء العصر الجاهلى ، ورددت بعد ذلك على من ذهب إلى أن قواعد الإسلام تقوم على أصول مختلفة من الأديان التى انتشرت قبله ، وذكرت أن الديانات السماوية فى مجموعها إنما تمثل المنهج الدينى المتكامل الذى أخذ الله به عباده ليصل بهم إلى أعلى درجات الإيمان .

الباب الرابع : نشاط السريان فى ظل الأمويين .

وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الأسباب التى مهدت لقيام السريان بدورهم فى بناء الحضارة الإسلامية . وقد ذكرت فيه استعانة الأمويين بأهل الثقافات الأجنبية فى بناء دولتهم لرغبتهم فى أن يستكملوا لها كل مقوماتها ، ثم أشرت إلى أن النشاط الثقافى الذى قام به النساطرة فى كل من جنديسابور والحيرة كان له دوره فى قيام مثيل له فى كل من البصرة والكوفة بعد ذلك .

وهنا كان لزاما على أن أذكر العوامل القومية والدينية التى أدت إلى هذا النشاط اللغوى ، فقد كانت الهوة التى تفصل بين لغة القرآن ولغة الكلام اليومية تزداد اتساعا ، كما أن رغبة الموالى فى إجادة اللغة العربية ليصلوا بذلك إلى المراكز العالية فى الدولة كان لها دورها فى إقبالهم على دراستها ، كذلك كان النظر فى القرآن والحديث يستوجب الإهتمام بالعلوم العربية لأنه متوقف عليها .

وقد بينت الآثار الأجنبية فى هذه الدراسات اللغوية ، فقد وضعت القواعد العربية على نمط القواعد السريانية ؛ وكان قيام مدرسة جنديسابور فى فارس له تأثيره على النحاة العرب . وقد عدت بعد ذلك لبيان بقية الأسباب التى مهدت لقيام السريان بدورهم ، فأشرت إلى تسامح الإسلام مع أهل الأديان الأخرى ، وذكرت انتقال الخلافة من الحجاز إلى سوريا وتأثير هذا الانتقال فى مساهمة المسيحيين فى بناء الدولة الإسلامية ، كذلك ذكرت أن الإسلام لم يوقف سير الحياة العقلية فى البلاد التى فتحها ، ولقد تمثل ذلك بصورة متميزة فى المجتمعين النسطورى واليعقوبى ، فضاعف هؤلاء من نشاطهم فى خدمة الثقافة والمعرفة بما ساعد على نقل العلوم اليونانية واتصالها بالفكر العربى .

الفصل الثانى : حركة النقل وجهود السريان فيها .

وفى هذا الفصل ذكرت أن الرغبة فى المحافظة على العقيدة أدت إلى عدم الاشتغال بالفلسفة فى العصر الأموى ، وقد فصلت الحديث بعد ذلك عن شخصية خالد بن يزيد ودوره فى النقل ، وتأثره بالسريان فى دراساته ، وبينت أن اشتغال السريان بالترجمة منذ صدر الإسلام لم يكن من مصادفات العصر ، وإنما كان امتداداً طبيعيا لما قاموا به قبل ذلك فى المراكز الثقافية التى سبق الكلام عنها ، وقد ختمت هذا الفصل بالحديث عن النقلة فى العهد الأموى وذكرت مشاهيرهم .

الفصل الثالث : موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة .

وقد بينت فيه أن المسلمين كان ذهنهم متفتحا فتقبلوا الثقافات الأجنبية ،

الفصل الأول : تكلمت فيه عن البيئات التى عاش فيها الآراميون ، والحضارات التى توالت فيها وتأثرهم بها ، ثم العـوامل التى أدت إلى اندثار حضارتهم .

الفصل الثانى : تحدثت فيه عن السريان ، وعرضت للأسباب التى من أجلها سموا باسمهم هذا ، ثم بينت مدى فهم مؤرخي العرب القدماء لهذه التسمية .

الباب الثانى : المراكز الثقافية فى الشرق القديم .

تحدثت فيه عن الإسكندرية ، وحران . وجنديسابور ، والرها ، ونصيبين ، وبينت النشاط الثقـافى الذى قام فى كل منها ، والعوامل التى أعانت عليه ، ثم درست اتصـالها بالمسلمين ، والنتائج التى ترتبت على هـذا الاتصال ، وأوضحت الدور الذى قامت به فى خدمة الحضارة العربية ، ومدى تأثيرها فيها ، والأفكار التى انتقلت منها .

الباب الثالث : جهود السريان فى الحضارة العربية قبل الإسلام .

وقد عرضت فى هـذا البـاب لعـدم اهتمام العرب بتاريخهم فى الجاهلية ، والأسباب التى أدت إلى ذلك ، وما ترتب على هـذا المسلك من نتائج ، ثم بينت أثر السـريان فى الجانب الحضارى من الحيـاة العربية قبل الإسلام وبخاصة فى دولة الأنبـاط ، وتدمر ، وإمارة الغساسنة ، والحيرة .

وفى هذا النطاق عنيت بانتقال الأفكار الهلينية إلى العرب ، والدور الذى قام به اليعـاقبة والنسـاطرة فى هـذا السبيل ، وذكرت ما أفاده العـرب من هؤلاء فى هـذه الفترة من تاريخهم ، فأشرت إلى العنـاصر

الرجوع إلى الأصول اليونانية كان أسبق فى الرياضة والفلك لما فيها من مصطلحات رياضية ، ثم عرضت للطرق التى كان يتبعها المترجمون وتحدثت بعد ذلك عن عجز السريان عن فهم الثقافة اليونانية أحيانا وقصور بعضهم فى الترجمة مما دعا إلى معاودة نقل ما ترجموه مرة أخرى . وقد حمل هذا على الشك فى قيمة الكتب المترجمة فظهر من ينادى بما يجب أن يكون عليه المترجمون حتى يستطيعوا أن يقوموا بترجمة تؤدى حقائق الأصل ومراميه .

وقد أنهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها النتائج التى توصلت إليها .

الباب الأول

أوليات الحضارة فى الهلال الخصيب

الفصل الأول

بيئة الآراميين وحضارتهم

عاش الآراميون فى منطقة متزامية الأطراف من آسيا ، وقد كان برستد أول من أطلق على هذه المنطقة اسم الهلال الخصيب ، وعلل ذلك بأنها « تكون شكلا نصف دائرى على وجه التقريب يرتكز طرفه الغربى فى جنـــوب شرقى البحر الأبيض المتوسط ، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب ، ويرتكز طرفه الآخر عند الخليج الفارسى ، وخلف ظهر هذا تقوم الجبال المرتفعة ، وبذلك تقع فلسطين عند نهاية الجزء الغربى ، وبلاد بابل فى الجزء الشرقى ، بينما تكون بلاد آشور جزءا كبيرا من وسطه »(١) . وقد تداول الباحثون هذه التسمية مثنين عليها فذكر سارتون « أنه اسم يليق كل اللياقة » . (٢)

وقد وجدت فى المنطقة التى ذكرناها عدة حضارات قبل أن يسود فيها الآراميون ، بل قبل أن يستوطنها الجنس السامى . فقبل عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تقريبا ازدهرت حضارة فى سهل شنعار على يد السومريين وهم « قوم غير سامي الأصل » (٣) .

---

(١) برستد : انتصار الحضارة ص ١٥١ .

(٢) تاريخ العلم : الفصل الثالث ترجمة الدكتور طه الباقر ص١٤٣ .

(٣) برستد انتصار الحضارة ص ١٥٨ . وانظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنـــان وفلسطين حـ ١ ص ١٤٩ وانظر ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص١٨ .

وقد قادهم نشاطهم التجارى إلى استعمال اللغة السومرية وهى لغة وليست سامية ولا آرية ، (١) كانت تكتب بآلة تشبه المسمار يضغط بها على الطين الذى يصنع على صورة ألواح فتترك أثرها فيه ، ثم يجفف الطين ويحرق حتى يظل متماسكا مما جعل هذه الكتابة تعرف بالكتابة المسمارية (٢) .

ولقد تركز النشاط الثقافى على عهد السومريين فى المدن « وكان المعبد فى المدينة هو نواة حضارتها والمركز الرئيسى فيها ،(٣) . ولعل مما يدل على هذا تلك المدونات التى عثر عليها فى كثير من الحفريات بين أنقاض هذه المعابد . » وتعتبر الحضارة السومرية أساسا لعدة حضارات آسيوية ، ولقد ظل العامل السوميرى هو العنصر الأساسى لثقافة ما بين النهرين ، (٤) .

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد أو حوالى منتصفه « شرعت جماعات من شعوب الجزيرة العربية تندفع نحو الشمال فى فترات من القحط بالغة

---

(١) سارتون : تاريخ العلم : الفصل الثالث ترجمة الدكتور طه الباقر ص ١٤٦ .

(٢) يراجع ه.ج. ويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ص ٦١ .

اقرن ذلك بقول ول ديورانت « ونقشوا على الطين ما يريدون نقشه بسن آلة حادة كالإسفين » قصة الحضارة ج٢ ص ٣٤ .

(٣) برستد : انتصار الحضارة ص ١٦٤ .

(٤) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص ٦٧ انظر ول ديورانت : قصة الحضارة ج٢ ص ٤٢ .

الخطورة ، (١) ونزلت بمنطقة الهلال الخصيب ، وعاش فريق منها جنبًا إلى جنب مع السومريين فى منطقة ما بين النهرين ثم لم يلبثوا حوالى سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد (٢) أن تغلبوا بزعامة سرجون الأول على دويلات المدن ، وأن يؤسسوا دولة موحدة قوية شملت معظم أرض وادى الرافدين ، وأن يتخذوا أكد عاصمة لها .

ولم يكن هؤلاء الساميون قد تحضروا بعد فأخذوا عن السومريين بعض معارفهم « وهكذا غلب السومريون قاهريهم »(٣) . ولقد اقتبس الأكديون « الكتابة المسمارية عن السومريين ليكتبوا بها لغتهم السامية ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى كتبت فيها لغة سامية »(٤) . ولم تكن الأصوات السامية لتطابق أصوات اللغة السومرية ولذلك استغنى عن بعض الأصوات فيها ، كما اقتبس كثير من الكلمات السومرية التى أضيفت إلى مثيلاتها فى المعنى فى اللغة السامية ، وقد أدى هذا إلى أن « شوهت لغة الساميين بعد أن امتزجت بعناصر كثيرة من لغة

---

(١) بروكلمان : العرب والامبراطورية العربية ص ١٣ .

(٢) هـ.ج. ويلز : موجز تاريخ العالم ص ٦٦ .

اقرن ذلك بالتاريخ الذى ذكره سارتون (٢٦٣٧ - ٢٠٨٢ ق.م) تاريخ العالم ص ٣٣٤ واقرنه بالتاريخ الذى ذكره فيليب حتى (٢٢٥٠ ق.م) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٣) جورج سارتون : تاريخ العلم الفصل الثالث : ترجمة الدكتور طه الباقر ص ١٤٨ .

(٤) برستد : انتصار الحضارة ص١٧٨ .

وانظر إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص٣٢ ، ص٣٤ .

المقهورين » (١) . ومعظم اللوحات المسمارية التى كشفت حتى الآن مكتوبة باللغة الأكدية التى تسمى عادة البابلية (٢) .

ثم ظهرت أمة جديدة عرفت باسم سومر وأكد ، وحققت ما عرف بالحضارة البابلية .

وفى حوالى القرن الحادى والعشرين ق.م. غزا الأموريون بلاد أكد « وهم من جزيرة العرب أصلا ، ويستدل من اسمهم على أنهم أقاموا فى «أمور» وهى منطقة من سوريا العليا كانت بين لبنان والفرات » (٣) . ويرى بعض المؤرخين أن اسمهم مشتق من « أمورو ، ومعناه أهل الغرب ، وهذا الاسم هو الذى يطلق على « أهل غربى الفرات من بدو وحضر إلى البحر المتوسط » (٤) .

وفى عهد الأموريين اكتسبت عاصمتهم بابل شهرة عظيمة ، وغلب اسمها على سهول شنعار القديم فسمى منذئذ باسم بلاد بابل (٥) .

---

(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٣ وانظر ص ٣٩ من نفس المرجع .

(٢) انظر ر.د. جيلى : كشوف ومناظرات. مقال بمجلة ديوجين أومصباح الفكر العدد ١ ص٨٩.

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص ٧٠ .

(٤) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص٤٣
انظر سارتون : تاريخ العلم : الفصل الثالث من ص١٤٨ إلى ص١٨٥
وانظر فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين حـ١ص٧٠ .

(٥) انظر برستد : انتصار الحضارة ص١٨٦ واقرن هذا بما ذكره المسعودى فى مروج الذهب حـ١ ص٢١٣

والمعروف أن هؤلاء الأموريين حين خرجوا من شبه جـــزيرة العرب نزلوا فترة من الزمن بالشام ومنهـــا أغاروا على منطقـة بلاد الرافدين ، وكونوا بهـا دولة كان أشهر ملوكهـا حمورابى حـوالى (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق.م)(١) . وقد اتخذت من بابل عاصمة لها ، ولـكنها لم تستطع أن تبسط سلطانها على أرض العراق كلها إلا فى زمن هـذا العاهل العظيم . وقد استعمل حمورابى « اللغة السومرية فى رسائله إلى ولاته » (٢) ولـكنه استعمل اللغة البابلية فى قوانينه التى تدل على أن الحضارة البابلية « قبل كل شىء كانت حضارة تشريعية » . (٣)

ويتلخص قانون حمورابى فيما يلى : (٤)

= (يظهر أن مدينة بابل لم تؤسس إلا حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م) من تعليق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٢٦.

(١) هناك اختلاف فى تاريخ حكم حمورابى فالتـــاريخ الذى أثبتناه ذكره سارتن فى تاريخ العلم ص ١٤٨ . ويلز يجعل حكم حمورابى ٢١٠٠ ق.م تاريخ العالم ص .

أدى شير يجعله سنة ٢٢٣٢ ق.م تاريخ كلد وآثور ح١ ص٣١ . وبرستد يجعله سنة ١٩٤٨ ق.م : انتصار الحضارة ص١٨٧ . وفيليب حتى يجعله حوالى سنة ١٧٠٠ ق.م تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ص ٧٢

(٢) برستد : انتصار الحضارة ص١٨٨

انظر سارتون : تاريخ العلم ص١٤٨ — ص ١٥٢

(٣) من تعليق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٢٧ .

(٤) راجع سارتون: تاريخ العلم ص١٩٤ وانظر أدى شير: تاريخ كلدوآثور ح١ ص ١٨ .

١ ــ مقدمة : من قسمين الأول دينى والثانى سياسى .

٢ ــ القوانين : ٢٨٢ مادة

أ ـ الإجراءات القضائية : مادة ١ ـ ٥

ب ـ الاعتـــداء على الممتلكات بما فى ذلك الأولاد والعبيـــد : مادة : ٦ ـ ٢٥

حـ ـ قوانين العمل المدنى والعسكرى وواجبات الأجراء والموظفين والزراع مادة ٢٦ ـ ٤٤

د ـ التعويضات والغرامات والأجور والديون ٤٥ ـ ٦٦ ...

هـ ـ العقود فى البيع والإيجارات والاستخدام وبقية قوانين الدين والوديعة مادة ٧١ ـ ١٢٦ .

و ـ الأسرة والزواج والتسرى والطلاق والتبنى مادة ١٢٧ ـ ١٩٥ .

ز ـ القانون الجنائى : العين والسن والجراحات والإجهاض وجرائم الإهمال مادة ١٩٦ ـ ٢٦٧ .

ح ـ الأسعار والأجور وتحديدها مادة ٢٦٨ ـ ٢٨٢

٣ ــ الخاتمة : سياسية ودينية .

والقارىء لهذا القانون يستطيع أن يتبين مدى النظرة الشاملة التى عالج بها حورابى أمور رعيته ، هذا فضلا عما نلحظه من عمق هـــذه العقلية القانونية التى حملت عالما مثل سارتون على أن يقرر « أن الصفات التى ننسبها للرومان بسبب جهودهم الفقهية القانونية سبق للبابليين أن أسهروا فيها قبلهم بنحو ألفى عام ، وبوجه خاص سبق للبابليين أن تصوروا

سلسلة من الافتراضات التى لا يمكن للقوانين أن تصدر بدونها » [١]
كذلك فإن « شريعة حورابى تمثل لنا عقلية بابل وشومر من ناحية ، وتدل على ما كانت عليه بابل من العظمة واتساع التفكير في المعضلات الاجتماعية والدينية » [٢].

ثم تغلب الكاسيون [٣] الذين أتوا من شرق دجلة ، وأقاموا فترة بالبلاد على بابل حوالى سنة ١٧٦١ ق م ، وظلوا فيهـا قرابة خمسة قرون تارة سادة وتارة مسودين ، وكانت بينهم وبين فراعنة مصر مراسلات ودية ومصاهرات كشف عنها ما ورد فى رسائل تل العمارنة فى عهد فرعون مصر إخناتون ، وكانت بينهم وبين الأشوريين حروب على الحدود بين مملكتيهما ، ثم ضعف أمرهم ، وسارت الغلبة للأشوريين ، وبذلك انتقل مركز الحضارة إلى بلاد آشور .

ومما لاشك فيه أن الحضارة الأشورية قد استفادت من حضـارة السومريين والبابليين ، فقد ثبت أن الأشوريين « أدركوا القيمة العلمية للنصوص السومرية فجمعوا ألواحها وترجموها إلى الأشورية » [٤]. وقد

---

(١) جورج سارتون : تاريخ العلم ص ١٩٥ .

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٦ .

(٣) الكاسيون شعب من المحتمل جدا أن يكون من عنصر آرى كان على ما يظهر ينتسب إلى الميتانيين (ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ٥٠) راجع من ص ٥١ إلى ص ٥٥ من نفس المرجع .

(٤) جورج سارتون : تاريخ العلم : الفصل السادس : المرحلة الأشورية : ترجمة الدكتور رشاد الناضورى ص ٣٢٩ .

تعرضت الدولة الأشورية لغزو الآراميين إلا أنها ردتهم على أعقابهم ، وقضت على دمشق عاصمتهم حوالى عام ٧٣٢ ق.م .

وقد بلغ الأشوريون أوج عظمتهم فى عهد سنحاريب (٧٠٥/٦٨١ ق.م) الذى اتخذ نينوى عاصمة له . وممن عرف بمحبته للعلوم من الأشوريين آشور بانيبال فقد « استجلب من مكتبات بابل وغيرها من المدن البابلية كل ما وجده من الكتب القديمة فى آداب البابليين وعلومهم وصناعاتهم وتواريخهم ودياناتهم ، واستنسخها كلها » (١) كذلك أنشأ مكتبة فى نينوى جمع فيها كثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية . ويرى بول ماسون أن الأشوريين « لم يضيفوا شيئا إلى الحضارة البابلية لكنهم تأثروا بها ، لقد تلقوها بقبول ، وحفظوا شواهدها فى حولياتهم ومكتباتهم ، ونشروا حدودها حتى الحدود الإغريقية المصرية » (٢) .

وحوالى سنة ٦١٢ ق. م استولى الكلدانيون على سورية — وهم فرع (٣) من الآراميين تغلغل إلى وادى الفرات الأسفل عرف باسم كلدو

---

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ح١ ص١٣٣ ، ص١٣٤ .

(٢) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى ص٨١ .

(٤) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ح٣ ص٢٧

— انظر فيليب حتى « ويرجح أنهم (الكلدانيين) أفراد موجة متأخرة كان لها بعض العلاقة بالآراميين » . تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٢٣٨ . وانظر ص ١٧٥ من نفس المرجع .

— ويعلق الدكتور مراد كامل على كتاب (الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان =

منذ حوالى القرن ١٤ ق . م . ولقد تحققت لهم أعظم انتصاراتهم فى عهد نبوخذ نصر (٦٠٤ ق م) إذ فتح أورشليم [١] ٥٨٦ ق.م ، وأخذ خير ما فيها ونقله إلى بابل . ولقد كان الكلدانيون بحكم الظروف ورثة لتقاليد آشور ومعارفها مما دفع الحياة العلمية إلى الازدهار فى عهدهم . فقد مهروا [٢] فى العلوم الرياضية والإلهية ، كما كانت لهم عناية برصد الكواكب ومعرفة بطبائع النجوم » .

ثم استولى قورش الفارسى على نينوى سنة ٥٣٨ ق.م . ثم جاء من بعده الإسكندر ففتح بابل سنة ٣٣٢ ق.م وكان من جراء [٣] الفتح المقدوني أن تم اصطباغ المنطقة بالهلينية قبل أن تتأثر بالغزو الروماني ،

= ص٢٧ فيقول «وقد استطاع الآراميون فى إحدى غاراتهم أن يكونوا إمارة بين بابل والخليج الفارسى عرفت باسم كلد ومنها اشتق اسم الكلدانيين » .

— ولقد وردت نفس العبارة السابقة فى كتاب « تاريخ الأدب السريانى » ص٤ الدكتور مراد كامل

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور حـ١ ص١٤٢

— انظر فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ١ ص١٥٥ ، ص٢٣٨

(٢) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٢٠ ط محمد مطر .

— انظر حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٢٩ وانظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٢٣

(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة في الشرق : ترجمة محمد يوسف موسى

الآراميون

الآراميون شعب سامى خرج من شبه جزيرة العرب « فى فترات من القحط بالغة الخطورة (١) ثم اندفع نحو الشمال وهبط سوريا وفلسطين ، واستقر فيهما حوالى سنة ١٥٠٠ ق.م . غير أنهم « لم يكتسبوا اسمهم « الآراميين » حتى أيام تغلات فلاسر الأول نحو « ١١٠٠ ق.م » حين أقاموا فى منطقة الفرات الأوسط حتى سورية فى الغرب » (٢) .

ولقد تبين أن الهجرة الآرامية كانت من أقدم الهجرات السامية من جزيرة العرب ، وقد تمثلت فى جماعات متعددة لا تعرف بهـذا الاسم ، فقد أقام الإخلامو وكانوا « مقترنين بالآراميين بصورة وثيقة فى شمالى بلاد الرافدين » (٤) كذلك يرجح أن ، « الكلدانيين أو البابليين الحديثين كان لهم بعض العلاقة بالآراميين » (٥) .

---

(١) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ١٣

(٢) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ج٣ ص ٢٢٣

— راجع الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٧٨

— بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربيـة « ابتداء من الألف الثالث ق.م » ص ١٣

— جرجى زيدان : العـرب قبل الإسلام « فى الألف الرابع قبل الميلاد » ص ٥٦

(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج١ ص١٧٤

(٤) نفس المرجع ج١ ص ١٥٧

(٥) نفس المرجع ج١ ص ٢٣٨ وراجع ص ١٧٥ أيضا

وقد يكون هذا الأمر مما دفع إلى التوسع فى مدلول لفظ الآراميين ، إذ يطلقها البعض على الشعوب السامية التى تتاثرت وتتابعت فى منطقة الهلال الخصيب ، ويعللون ذلك « بأن بلاد الآراميين يقال لها عند اليهود آرام لأن آرام بن سام هو الذى تبوأها وعمرها بنسله ، وكذا ورد اسمها فى العهد القديم المكتوب فى العبرانية »(١).

وقد ترتب على ذلك أن التسمية بالآراميين اكتسبت مدلولا عاما لايتعارض مع الأسماء التى يسمى بها أهل كل منطقة « كتسمية أهل بابل وما يجاورها بالكلدانيين ، وتسمية مملكة أشور بالأشوريين وتسمية أهل الشام بالأدوميين ولكن مع ذلك كانت التسمية بالآراميين تشملهم جميعا »(٢)

---

(١) إقليمس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ص ٧
— انظر محمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ٥٧
— انظر الإصحاح العاشر من سفر التكوين آية ٣ ترجمة الآباء اليسوعيين:
(٢) القس يعقوب أوجين متى الكلدانى: دليل الراغبين فى لغة الآراميين ص ٧
— لا يأخذ أدى شير بهذه التسمية ويقول «إن سكان الجزيرة والعراق على اختلاف مذاهبهم هم كلدان اثوريون جنسا ووطنا، وقد دعوتهم كلدانا أثوريين لأن هذين الشعبين هما فى الأصل شعب واحد نظرا إلى الديانة والعادات والشرائع والآداب والصنائع ، فضلا عن اسم الكلدان والأثوريين أطلق دون تمييز على شعب واحد فى التواريخ القديمة إذ كانت الدولتان تتضامنان غالبا فتصبحان دولة واحدة ، ولا عبرة للحروب المتصلة بينهم » تاريخ كلدو وآثور الجزء الأول المقدمة .

وواضح هنا أن القصد متجه إلى اعتبار منطقة الهلال الخصيب هى موطن الآراميين الأول ، غير أن من الباحثين من يرى أن « قيام دولة آرامية اتخذت دمشق عاصمة لها ، وبسطت نفوذها على شمال الشام وإقليم الجزيرة هو الذى أدى إلى نشأة الاسطورة القائلة بأن وطنهم الاصلى هو إقليم الجزيرة بين دجلة والفرات » (١)

وإذا كان من العسير (٢) أن نجزم برأى فى المهد الأصلى للأمم السامية بعامة ، فإن النظرية المحتملة أكثر من غيرها تجعل ذلك الموطن الجزيرة العربية (٣) .

كذلك إذا كنا لا نسلم (٤) بالضبط الموطن الأصلى للآراميين من هذه الجزيرة فإن هناك من يرى (٥) أنهم نزحوا من نجد لان آرام معناها الجبال ونجد جبلية . كذلك هناك من يرى « أنهم كانوا فى أول أمرهم قبائل رحلا ينتقلون فى البادية بين نجد فى الجنوب ، وحدود

---

(١) الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٤٩

(٢) انظر إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٤ ، ٥ ، ٦

— وراجع الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء ص٣٧٧

— يعلق الدكتور مراد كامل على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان فيقول « مما لا شك فيه أن موطن الساميين فى العصر التاريخى شبه الجزيرة العربية » ص٤١

(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الجزء الأول ص ٦٧ .

(٤) إسرائيل ولفنسيون : تاريخ اللغات السامية ص ٥٤ ،

(٥) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٤٢

الشام فى الشمال ونهر الفرات فى الشرق ، وخليج العقبة فى الغرب » (١) وقد دخل الآراميون ما بين النهرين حوالى سنة ١٣٠٠ ق.م . وعرفوا باسم « آرام النهرين » (٢) ويقصد بالنهرين هنا « الفرات ورافده الخابور » وليس الفرات والدجلة (٣) وقد ظلت إمارتهم التى عرفت بهذا الاسم قائمة حتى قضى عليها الأشوريون قبل نهاية القرن التاسع ق.م(٤) . ومن إمارات الآراميين فى هذه المنطقة « إمارة فدان آرام » وتقع فى السهول المنبسطة بين الجزيرة والشام ، وكان مركزها مدينة حران ... التى أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الآرامية » (٥) . كذلك توغل الآراميون فى الشام واستقروا فى الشمال وكونوا عددا من الدويلات منها « إمارة سمأل بين أنطاكية ومرعش » (٦) .

وفى أواخر القرن (٧) العاشر ق م . أسس الآراميون مملكة « آرام

---

(١) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٣
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجى زيدان ص ٢٧ .
(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٤
— انظر تعليقه أيضا على كتاب « الفلسفة اللغوية » لجرجى زيدان ص ٢٧ .
(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج١ ص١٧٦
(٤) انظر الدكتور حسن احمد محمود : الساميون القدماء من ص ٣٨٠ إلى ص ٣٨٣
(٥) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٧٧
(٦) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٤
— انظر تعليقه أيضا على كتاب الفلسفة اللغوية « لجرجى زيدان » ص ٢٧
(٧) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٤

دمشق ، وقد امتدت (١) من الفرات شرقا إلى اليرموك جنوبا ، وقد خضعت (٢) لها حماه وكل النواحى التى فى البادية على سواحل الفرات ، وصارت لها سيطرة على مملكتى إسرائيل ويهودا ، ولولا الآشوريون لشكلت دمشق مملكة عظيمة قوية فى سورية إذ استولى عليها الملك الآشورى تغلات فلاسر سنة ٧٣٢ ق.م. وصارت بذلك ولاية آشورية « وانتهت منها السيادة الآرامية إلى الأبد » (٣).

ولقد أتيح للآراميين أن يتلقوا تأثيرات حضارية عديدة مكنهم منها موقع بلادهم ، فكانوا « ورثة الحضارة الآشورية والبابلية والفينيقية والفارسية واليونانية ، وكانوا يتأثرون خطوات هذه الحضارات ويضيفون عليها نوعا من التطور » (٤) كذلك تأثروا بحضارة الحيثيين والمصريين ، ولعل مما يؤيد ذلك أن « مدينة سمأل وهى إحدى المدن

= — انظر تعليقه أيضا على كتاب «الفلسفة اللغوية» لجرجى زيدان ص٢٧، ٢٨
— يرى الدكتور فيليب حتى أن ذلك كان فى أواخر القرن الحادى عشر ح ١ ص ١٧٧ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين .

(١) الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ح٣ ص٢٨
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ح١ ص١٧٧
(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ح١ ص ٦٦
— انظر الدكتور مراد كامل ، تاريخ الأدب السريانى ص ٤
(٣) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ح١ ص١٨١
(٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص٥ .
— انظر تعليقه أيضا على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان ص٣٠ .

الآرامية مدينة حيثية فى تخطيطها وفى عمارتها ، كما وجدت بها بعض التماثيل التى توحى بالتأثر بالتقاليد الحيثية ،[١] كذلك كان الآراميون « أول من اقتبس الأبجدية الفينيقية »[٢] وقد « غيروا رسم صورها قليلا »[٣] .

ولقد شاعت اللغة الآرامية وتمكنت « ببساطة أبجديتها وسهولة نحوها وصرفها »[٤] « وبما فيها من سهولة ويسر »[٥] أن تأخذ مكان اللغة المسمارية ، وساعدها على الانتشار نشاط الآراميين التجارى حتى أنها لم تعد فقط « اللغة العامة للتجارة والحضارة والحكومة فى بلاد

---

(١) الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٨٦ .
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ ١ ص ١٨٥ .
(٢) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ١ ص١٨٣
— انظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠٦
— انظر الدكتور مراد كامل : فى تعليقه على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٣٩
(٣) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٧١ .
(٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٥
— انظر حديثه عن اللهجات الآرامية فى نفس المرجع من ص ٧ إلى ١٦
— انظر تعليقه على كتاب الفلسفة اللغوية لجرجى زيدان ص ٣٠ إلى ٣٥
واقرن ذلك بما أورده جرجى زيدان فى الفلسفة اللغوية ص ٢٧—٣٢
(٥) الدكتور عبد المنعم محمد حسنين : الإيرانيون القدماء ص ٤٢٩

الهلال الخصيب كلها ، بل اللغة التى يستعملها سكان تلك البلاد فى كلامهم (١) .

وقد ظل نفوذ اللغة الآرامية قويا حتى بعد زوال نفوذهم السياسى فلقد ظهر فى بلاط تغلات فلاسر الذى هزمهم سنة ٧٣١ ق.م . كاتب آرامى « يدون بالآرامية الغنائم المأخوذة من إحدى المدن المفتوحة (٢).

وحينما انتقل الحكم إلى الفرس لم تفقد اللغة الآرامية شيئا من رونقها ، بل بقيت لغة رسمية للمملكة ، ولاسيما فى عهد دارا الأكبر (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) وكذلك أيضا فى عهد السلوقيين والفرثيين والساسانيين أصبحت هى اللغة السائدة فى كل آسيا السامية ، وانتشرت أيضا فى شمالى جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وذلك منذ القرون الأولى من ميلاد المسيح ، وظلت إلى القرن السابع منه (٣) .

ولقد كان من آثار النفوذ الذى اكتسبته اللغة الآرامية أن « عرب

---

(١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ١ ص١٨٢
— انظر برستد : انتصار الحضارة ص ٢٠٧ .
— الدكتور نجيب ميخائيل : تاريخ مصر والشرق الأدنى حـ٣ ص ٣٢٣ .
(٢) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ١ ص١٨٢ .
(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور حـ١ ص ١٦٠ .
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ ١ ص ١٨٣ .
— انظر الدكتور مراد كامل تاريخ الأدب السريانى ص ٤ ، ٥

الشمال أخذوا أبجديتهم التى كتب بها القرآن من الآرامية التى استعملها الأنباط ، كذلك حصل الآرمن والفرس والهنود على أبجديتهم من مصادر آرامية » (١)

وبالرغم من هذا كله فإن التاريخ لم يحفظ لنا كثيرا من آثار الآراميين ، ويعلل برستد ذلك بأن « أكوام المدن الآرامية فى سوريا لم يتم حفرها كلها بعد ، ولهذا لم يصل إلى أيدينا إلا آثار قليلة لتحدثنا عن تاريخ تلك المدن » (٢) ويعزو سارتون غموض التراث الحضارى فيما بين النهرين إلى « أن مدن هذه المنطقة المشيدة من الطوب التى اختفت كلها أو معظمها واحدة بعد أخرى دون أن تخلف شيئا سوى خرائب مدفونة تحت الأرض لا يمكن معرفة أخبارها إلا بعد بحوث عسيرة » (٣) .

ولكن (٤) « لا بد وأن الكلدانيين الوثنيين كانت لهم مدارس شهيرة إن كان قبل المسيح وإن كان بعده ، ومما يوجب غاية التأسف أنه لم يصل إلينا شىء من تأليفاتهم سوى كتاب (٥) أحيقار ، ورسالة مارا بن

---

(١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ ١ ص ١٨٣ .
ـ انظر الدكتور حسن أحمد محمود : الساميون القدماء ص ٣٨٥ .
(٢) انتصار الحضارة ص ٢٠٧ .
(٣) جورج سارتون : تاريخ العلم حـ ١ ص ١٤٩
(٤) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور حـ٢ ص ٤٠ .
(٥) « أسطورة أحيقار تحوى بعض حكم آشورية وبابلية ، ولكنها =

سرابيون (١) ، والداعى إلى ذلك هو أن تمسك الكلدان المسيحيين بديانتهم ساقهم إلى أن يتلفوا من دون تمييز كل أثر وثنى اتصل بهم من أجدادهم » .

وهكذا نجد أن المسيحية « قد عزلت الكتابات الآرامية عن العالم وحالت بينها وبين الخروج من معقلها لأنها لم تكن تساير العقيدة المسيحية ، وبقيت كذلك فى عزلتها حتى العصور الإسلامية المتأخرة حين قضى المغول عليها نهائيا سنة ١٢٣١ ميلادية ، وبذلك حرم العالم من ثمار حضارة هؤلاء الأقوام » (٢) .

وعلى هذا فإن عدم وجود آثار آرامية يرجع تاريخها إلى ما بعد الفتح المقدونى لا يعنى أن هذه اللغة قد انقرضت بعد فتح الإسكندر لتخلى مكانها للغة اليونانية ، إذ الواقع أنها ظلت مسيطرة ، وبالرغم من

= بالآرامية وقد كتبت فى القرن السابع أو ما بعده » الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ١ ص١٨٢ .

— اقرن ذلك بما ذكره الدكتور مراد كامل من أن « تاريخ تأليفها لا يزال موضع بحث ، وكل ما نستطيع أن نقوله إنها ألفت قبل نهاية القرن الخامس قبل الميلاد » تاريخ الأدب السريانى ص ٣٣ .

(١) ذهب المستشرق الانجليزى كيوريتون إلى أنه ليس من الحقائق الواردة فى هذا الخطاب ما يحول دون القول بأنه كتب فيما بين نهاية القرن الأول ونهاية القرن الثانى » الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٢٦ .

— انظر نص الرسالة فى نفس الموضع من المرجع السابق .

(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ٢١ .

ذيوع اللغة اليونانية إلا أنها ظلت [١] لغة الغرباء ، وأما أهل البلد الأصائل فقد ظلوا على لغتهم ، فكانت الآرامية هى لغة الشعب ، وكانت لسان العامة ، وأداة التفاهم فى شئون الحياة .

(١) اقليمس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ض ٤٠ .
ـــ انظر ما ورد فى تاريخ الأدب السريانى للدكتور مراد كامل من أن اللغة اليونانية « لم تكن لغة التخاطب وإنما كان تعليمها قاصرا على طبقة المثقفين من الأغنياء » ص ٢٦ .

الفصل الثاني

السريان

إذا كان هذا هو شأن الآراميين وحضارتهم فإنه يرد على الذهن سؤال : من هم هؤلاء السريان الذين سنتحدث عنهم ؟ وأين كانوا ؟

يقول أدى شير « وأما سورية فكان اسمها فى اللغة المصرية « خارو » أو « شارو » ، واتخذه اليونان فقالوا فيه « سوريا » ، وقيل إن سوريا تحريف « أسوريا » اليونانى أى « آثور » والرأى الأول أصح » [1] .

ويرى فيليب حتى ما يراه أدى شير فيذكر « أن اليونان كانوا يسمون بلاد آرام سورية » [2] ولكن لا توجد فى الغالب صلة فى الاشتقاق بين « سورية » و « أسيريا » و « أشور » [3] ، وكما أطلق اليونان اسم سوريا عليها كذلك أطلقوا اسم السريان عليهم .

يقول ابن الصليبى « لكنهم أعنى اليونانيين يسموننا تعييرا لنا السريان ونحن نردهم قائلين إن اسم السريان الذى سلبتموه عنا ليس عندنا من الأسماء الشريفه لكونه متأتيا من اسم سورس الذى ملك فى أنطاكية فدعيت

---

(1) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ ١ ص ٥١

(2) فيليب حتى : تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين جـ ١ ص ١٨٤

(3) المرجع السابق جـ ١ ص ١٨٤ .

باسمه سوريا أما نحن فاننا من بني آرام ، وباسمه كنا نسمى يوما آراميين [١] .

ويذكر أدى شير أن اسم السريان « اسم غريب خارجي أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل سوريا ، ومن اليونان استعاره الآراميون الغربيون ، ومن السريان الغربيين سرى إلى المتنصرين من الكلدان الآثوريين لأنه من سوريا أتتهم المسيحية ، فتسموا باسم السريان تمييزا لهم من الكلدان الآثوريين الوثنيين ، فلم يكن الاسم السرياني يومئذ يشير إلى أمة ، بل إلى الديانة المسيحية لا غير [٢] .

ويرى صاحب كتاب اللمعة أن القول بأن لفظة السريان أعجمية « زعم باطل لا أصل له لأنه قول بلاسند ولا بينة . ولأن الباقين من السريان الأقدمين فى بلاد آثور وكردستان وبلاد الشام إلى يومنا هذا يسمون لغتهم بلسانهم سريانية ، ولا يصدق أن أمة صحيحة منتشرة فى جانب عظيم من الأرض تترك اسم لسانها وجنسها ، وتستبدل به اسما آخر أعجميا [٣] .

ومهما كان من « أمر اشتقاق لفظ (سريان) فإن أصحابه لم

---

(١) القس يعقوب الكلدانى : دليل الراغبين فى لغة الآراميين ص ١٠
— راجع بضعة آراء مشابهة فى نفس المرجع .
— وراجع أيضا ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ص٦٨
— وراجع المسعودى : مروج الذهب ج١ ص ١٢١
(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ المقدمة ص ١ .
(٣) إقليمس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ص ٧ .

يعرفوا به قبل أربعمائة أو خمسمائة سنة قبل التاريخ المسيحى ، أما الآراميون الشرقيون وهم الكلدان والآثوريون ، فإن نفس التسمية لم تعرف بينهم إلا بعد المسيح على يد الرسل الذين تلمذوا هذه الديار ، لأنهم كانوا جميعا من سورية فلسطين ، وذلك إذا كان أجـــدادهم الأولون المتنصرون شديدى التمسك بالدين المسيحى أحبـــوا أن يسموا باسم مبشريهم ، فتركوا اسمهم القديم ، واتخذوا اسم السريان ليمتازوا عن بنى جنسهم الآراميين الوثنيين ، ولذا أصبحت لفظة الآرامى مرادفة للفظة الصابى والوثنى ، ولفظة السريانى مرادفة للفظة المسيحى والنصرانى » (٣) يقول إقليمس يوسف داود « إلى يومنا هذا نرى الكلدان الآثوريين لا يتخذون لفظة سريانى للدلالة على الجنسية ، بل على الديانة ، فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحى من أى أمة وجنس كان » (٤) .

ويرى الدكتور فيليب حتى أنه « عندما اتخذ المسيحيون الآراميون لهجة أديسا وجعلوها لغة الكنيسه والأدب والتعامل الثقافى ، صـــاروا يعرفون باسم سوريين ، وأصبح لاسمهم القديم أى الآراميين مدلول وثنى غير مستحب فى عقولهم ، ولذلك تجنبوه بوجه العمـــوم وحلت محله التعـــابير اليونانية وهى ســورى بالنسبة للشعب وسريانى بالنسبة للغة » (١) .

كذلك يرى الدكتور حسن محمود مايراه الدكتور فيليب حتى فيذكر « أن

---

(١) القس يعقوب الكلدانى : دليل الراغبين فى لغة الآراميين ص ١١ .

(٢) اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ص ١١ .

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ ١ ص ١٨٤ .

الآراميين لما اعتنقوا المسيحية ، واستخدموا لهجـــة الرها فى كنائسهم وفى آدابهم وثقافتهم نبذوا اسمهم الأول لصلته بالوثنية ، وسموا أنفسهم السوريين أو السريان (١) .

وقد عرض أدى شير الأوجه المختلفة لتسمية السريان فذكر أن « للكلدان المسيحيين أسماء كثيرة فى التواريخ ، فسموا آراميين نسبة إلى آرام بن سام الذى استوطن هـــذه البلاد ، وعمرها بنسله ، وفرسا لسكونهم وجدوا فى مساكنهم ، ومشارقة لأنهم فى المشرق ، ونساطرة لاتباعهم تعاليم نسطور بطريرك القسطنطينية ، وسريانا شرقيين تمييزا لهم من السريان الغربيين وهم اليعاقبة ، ولكن اسمهم الأصلى كلدان آثوريون جنسا ووطنا لأن منشأ كنيستهم ومركزها كلدو وآثور ولغتهم الجنسية والطقسية هى الكلدانية ، ويقال لها أيضـــا الآرامية ، وغلطا سميت سريانية ، كما أنه غلطا أيضا سمى النصارى سريانا»(٢)

كذلك تحقق أن السريان اليعاقبة أيضا أقروا أن أصلهم كلدان آثوريون جنسا ولغة وأن اسم السريان هو يونانى خارجى أطلق غلطا وزورا عليهم . (٣)

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد أن مؤرخى العرب القدماء أطلقوا لفظ السريان والسريانية دون تحديد .

---

(١) الساميون القدماء ص ٣٨٥ .
(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ٢ المقدمة ب .
(٣) أدي شير : تاريخ كلدو وآثور جـ٢ المقدمة جـ .

يقول المسعودى تحت عنوان « ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم « إن أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان ، وقد تنوزع فيهم وفى النبط ، فمن الناس من رأى السريان هم النبط ، ومنهم من رأى أنهم إخوة لولد ماس بن نبيط ، ومنهم من رأى غير ذلك » (١)

وهو يذهب إلى أن اللسان السريانى « هو اللسان الأول ، لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء » (٢)

كذلك يرى الجهشيارى أن « أول من وضع الكتاب السريانى وسائر الكتب آدم عليه السلام (٣) »

ويذكر القلقشندى « أن لغة العرب المستعربة وهم بنو قحطان بن عابر وبنو إسماعيل كانت السريانية أو العبرية لأن لغة عابر وإسماعيل كانت سريانية أو عبرانية (٤) »

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ١٢٩ .

ـــ يعلق ابن خلدون على كلام المسعودى فيقول « إن المسعودى سمى من ملوك السريانيين تسعة متعاقبين فى مائة سنة أو فوقها بأسماء أعجمية لا فائدة فى نقلها لقلة الوثوق بالأصول التى بين أيدينا من كتبه وكثرة التغيير فى الأسماء الأعجمية » العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ص ٧٠ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٦٩ .

ـــ راجع : المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) كتاب الوزراء والكتاب ص ١ .

ـــ انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٣ .

(٤) صبح الأعشى : ج ١ ص ٣١٨ ،

الباب الثانى

المراكز الثقافية فى الشرق القديم

أولا : الإسكندرية

حينما نتحدث عن المراكز الثقافية فى الشـرق القديم ، يرد إلى الذهن ذكر الإسكندرية ذلك لأنها تمثل أحد المراكز الرئيسية الـتى انتقلت منها الثقافة اليونانية إلى الشرق . يقول أولـيرى « إن الثقافة الإغريقية التى كانت الدولة الرومانية والكنيسة ينشرانها لم تكن وافدة من أثينا ، بل كانت بؤرتها الإسكندرية من بلاد مصر » (١) .

وفى تصورى أن هـذا الدور الذى قامت به الإسكندرية قد تراءى لمؤسسها حين هم ببنائها « وسواء أراد الإسكندر أن يجعل منها مقـرا لإمبراطوريته أو يخلق منها ثغرا مقدونيا يخلف صور فى العالم التجارى، فإنه أراد أيضا أن يكون هـذا الثغـر وقد قام عـلى أسس الحضارة الإغريقية منبعا تتفجر منه عيون تجرى بماء هذه الحضارة ، فينتشر خصبها بين ربوع الشرق القديم » (٢) .

والواقع أن الأمر كان مهيأ للاسكندرية « لتصبح المركـز الجـديد للتفكير العالمى على اختلاف اتجاهاته ، فلقد مكنها موقعها من أن ترتبط بعلاقات تجارية مع كل الأمم التى تقع حول البحر المتوسط ، كما جعلها حلقة الاتصال الوحيدة بثروة الشرق وحضارته . وكانت عناية حكام مصر بها سببا فى أن تتزايد مزاياها » (٣) إذ اتخذها بطليموس سوتر (٣٢٣ - ٢٨٥ ق م) عاصمة له ، ولما « كان متعمقا فى دراسة آراء أرسطو

---

(1) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs p. 19.

(٢) الدكتور ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ص ١٣ .

(3) Encyclopedia Britannica Volume 1. p. F81

أخذ يعمل على تنظيم المعرفة والبحث بهمة واقتدار عظيمين » (١) فأنشأ المتحف ، الذى أصبح بعد قليل جامعة هلينية تنافس المدارس الأثينية القديمة (٢) ، وألحق به مكتبة جمعت كل كنوز الحكمة ، وأجرى المنح على العلماء اليونانيين لحبب إليهم الإقامة حوله ، ثم جاء بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٧ ق. م.) فاهتم بأمر المتحف أكثر من سلفه ، وجمع فيه العلماء والشعراء اليونان الذين كونوا فيما بعد المجامع العلمية للآداب والفنون والذين جمعوا فى المكتبة ما يقرب من سبعمائة ألف مجلد (٣) .

ولقد كان انتقال الحركة العلمية إلى الإسكندرية واضطلاعها بالدور الذى كانت تقوم به أثينا قبل ذلك بداية للدور الثانى فى حياة الفلسفة اليونانية ، فبعد أن كانت طرق البحث تأخذ الوجهة النظرية اتجهت إلى الاعتماد على الاختبار للحصول على العلم المنتج .

يقول أ. وولف « إن العلم الفلسفى الذى توارثه الإسكندريون عن مصر القديمة تلاقى بالتفكير الإغريقى ، وفى هذا التصاهر بين العمل والنظر ظفر علم الكيمياء ببدايته ، ولاحظ الكيمائيون السكندريون أن المادة يحدث لها تغييرات كثيرة ، فانتهوا من هذا إلى أنها قابلة للتحويل ، وبهذا كانت نظريتهم عن المادة كنظرية أرسطو ، ولكنها كانت مؤيدة إلى حد ما بالتجربة » (٤) .

---

(١) هـ. ج. ويلز : موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز توفيق ص١١٧ .
(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٧ .
(٣) الدكتور إبراهيم سلامه : تيارات أدبية بين الشرق والغرب ص١٤٩ .
(٤) انظر الدكتور إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ج١ ص٥٣

ومن علماء هذه الفترة أبولونيوس «مات حوالى ٢٢٥ ق. م. » وله كتاب المخروطات فى علم أحوال الخطوط المنحنية .... ولما أخرجت الكتب من بلاد الروم إلى المأمون أخرج من هذا الكتاب الجزء الأول لاغير ويشتمل على سبع مقالات .... وترجم الأربع مقالات الأولى بين يدى « أحمد بن موسى » « هلال بن أبى هلال » الحمصى والثلاث الأواخر ثابت بن قره الحرانى » (١) .

كذلك اشتهر هيبارخوس (١٩٠ — ١٢٥ ق. م.) فى هذه الفترة ، كما اشتهر هيرون (٢) الذى ترجم قسطا بن لوقا البعلبكى كتبه إلى العربية ، ومن علمائها أيضا بطليموس القلوذى صاحب كتاب المجسطى « وهو ثلاث عشرة مقاله ، وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحي بن خالد ابن برمك ، وفسره له جماعة فلم يتقنوه ، ولم يرض بذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسلمان صاحبى بيت الحكمة فأتقناه ، واجتهدا فى تصحيحه ، وقد قيل إن الحجاج بن مطر نقله أيضا » (٣)

= انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٤ .
— عرض تاريخى للفلسفة والعلم - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف ص ٢٤٢

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٤٤ ، ٤٥ .
— انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٧ .
— انظر الحديث عن مؤلفاته فى مسالك الثقافة الإغريقية الى العرب لأوليرى ص ٢٤ .

(٢) انظر : أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٤٦

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٦٩
— انظر أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٤٨

كذلك نجد إقليدس صاحب كتاب الأصول وقد « نقله الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفى نقلين ، ونقله اسحق بن حنين ، وأصلحه ثابت بن قره الحرانى ، ونقل أبو عثمان الدمشقى منه مقالات » (١) .

ويبدو أن هذا النشاط العلمى لم تنعكس آثاره فى الحياة العامة ذلك لأنه لم تكن هناك تطبيقات للعلم إلا فى مجال الطب ، وهكذا حيل بين طوائف الشعب وبين الإفادة منه ، وظل الأمر محصورا فى نطاق الفلاسفة والعلماء .

يصف هـ. ج. ويلز هذه الحركة العلمية بقوله « كان مثلها كمثل نور فى مصباح معتم يحجب النور دون العالم كافة ، وقد تكون الشعلة وهاجة تخطف الأبصار ، ولكنها مع ذلك مستورة لاتراها الأنظار »(٢)

ولقد ضعف شأن الإسكندرية قبل استيلاء الرومان عليها ، فلما دخلت فى حوزتهم زاد شأنها ضعفا « وتغيرت وجهة علومها وانحصرت فى الفلسفة » (٣) .

وترجع أسباب هذا الضعف فى رأى « ماهاف » الى أن البطالمة عندما تمصروا ووقعوا تحت سلطان كهنة مصر « كفوا عن مولاة ما كان يجرى فى المتحف من عمل ، ولم يلبث إشرافهم عليه أن خنق روح البحث

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٤٦ ، ص ٤٧ .
— انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٣٨٥
(٢) هـ. ج. ويلز : موجز تاريخ العالم : ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ص ١١٩ .
(٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : جـ ١ ص ٢١١ .

والتقصى خنقا تاما » (١) .

ويرى ويلز أن تقدم العلوم فى الإسكندرية « لم يكن يحفزه ويحافظ عليه اهتمام القوم بالتطبيقات العملية ، ولا ما تحدثه تلك التطبيقات من هزة فى النفوس ، لذا لم يكن هناك شىء يدعو إلى الاستمرار فى العمل عندما ولى بطليموس الأول والثانى وزال أثر حبهما للاستطلاع » (٢) .

كذلك كان استيلاء الرومان على الإسكندرية فى حد ذاته له دوره فيما آلت إليه الحالة العلمية من تدهور « إذ لا يخفى أن الحياة العلمية فى حاضرة كبيرة تجد صعوبة شديدة فى مقاومة الانهيار السياسى»(٣).

وإلى جانب هذا كله « كان المصريون يكرهون كل ما هو رومانى حتى فى الشئون الثقافية الخالصة ، فلم تنتشر الثقافة اللاتينية بين المصريين ، بل لم تنتشر اللغة اللاتينية فى مصر ، ولعل هذا ما دفع ولاة الرومان إلى أن يصطنعوا اللغة اليونانية ، ويتخذوها لغة رسمية فى الديار المصرية » (٤)

ولقد كانت مدرسة الإسكندرية « ملتقى الشرق والغرب ، وموطنا لليهود تم فيه إمتزاج عجيب بين الدين اليهودى والفلسفة اليونانية ، ولقد تمت ترجمة اليونانية للكتاب المقدس « العهد القديم » فى هذا المكان ،

---

(١) نقلا عن هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١١٧

(٢) هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١١٨ .

(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية : ترجمة رمضان لاوند ص ١٨ .

(٤) الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ١٨

وفى وسعنا أن نلتمس فيه وفى أدب الحكمة بداية المحاولة التى كان هدفها التوفيق بين الدين اليهودى والأفلاطونية .

ومن العلماء الذين عملوا فى هذا الميدان فيلو (٢٠ ق م — ٥٠ م) وفالنتينوس الغنوسطى (١٢٠ — ١٦٠م) وباسيلوس (١١٧ — ١٣٨ م) ، وكلمنت (١٥٠ — ٢١٣ م) ، وأرجن (١٨٥ — ٢٥٤) وأفلوطين (٢٠٥ — ٢٧٠ م) وتعرف كتبة باسم التاسوعات (١) . وفورفوريوس (٢٣٣ م ومات بعد عام ٣٠١م) ومن أهم كتبه إيساغوجى (٢) والجدل .

وقد ظلت الأفلاطونية الحديثة سائدة فى المملكة الرومانية حتى أغلق الإمبراطور جوستنيان مدرسة أثينا الفلسفية سنة ٥٢٩ م .

ولقد ناقش أوليرى الرأى القائل بأن « هذه الفلسفة إسكندرية

---

١ — وقد انتشر الكتاب الرابع والسادس من تساعيات أفلاطون فى صورة مترجمة إلى السريانية تحت اسم لاهوت أرسطو بين المسيحيين الذين كانوا يتكلمون السريانية ، وعلى الأخص اليعاقبة ، وقبلها المتقدمون من علماء بغداد من عصر ماقبل الكندى باعتبارها من أعمال أرسطو ، واعتبرها الكثيرون من المتأخرين كذلك ، ومن السهل أن نرى قدر مساهمة هذه المادة فى خلق نغمة فكرية حلولية وصوفية كالتى تبدو فى الفلسفة الإسلامية » .

أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣٧ .

٢ — يقول القفطى إنه « أخذ عنه وأضيف الى كتب أرسطو وجعل أولا لها ص ١٧٠ . أخبار الحكماء .

الجوهر » ورأى أن « ذلك مبالغة اذا لم يكن خطأ » (١) لأن « عناصرها الأولى مستمدة من آراء أفلاطون وأرسطو والرواقيين » (٢).

ولقد « أحدثت الكتب التى وضعها رجال هذه المدرسة إبان حملتهم على المسيحيين مالم يكن ينتظره الناس ، فقد غذت اللاهوت المسيحى بالمكتشفات العلمية اليونانية وتعاليم أرسطو ، كذلك كان لهذا المذهب أثره فى الدين والتفكير ، اذ كثرت الكتابة فى الموضوعات المسيحية ، وبنيت كلها على مذهب الافلوطونية الحديثة » (٣) .

ولقد أقدم كثير من أباء الكنيسة على الفلسفة يتدراسونها « لأنهم رأوا من الضرورى أن يؤيدوا أنفسهم وعقائدهم أمام الوثنيين » (٤) . و « ليستعينوا بما لها من منطق وترتيب فى الجدل ، وبما لها من أبحاث وراء المادة على تأييد وجهة نظرهم . » (٥)

غير أن هذا النقاش الذى احتدم فى هذه الفترة « قلما أفاد العلم لان أبحاثه كانت غايتها دينية » (٦) .

يقول سويتمان « ولقد كان للأفلاطونية الحديثة أثر عظيم على الفلسفة الدينية فيما بعد ، سواء فى المسيحية وفى الإسلام ، ويجب النظر الى

(١) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٣٦
(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٥٩
(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٢٠
(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٣٢
(٥) احمد امين :ضحى الإسلام : ص ٢٦٠
(٦) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١١

هذا الأمر بعين الاعتبار عند التعرض لدراسة التصوف الإسلامى » (١).

ويقول الفارابى « فصار التعليم فى موضعين ، وجرى الأمر على ذلك إلى أن جاءت النصرانية ، فبطل التعليم من رومية ، وبقى بالإسكندرية ثم نظر ملك النصرانية فى ذلك ، واجتمعت الأساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل ، فرأوا أن يعلم من كتب المنطق إلى آخر الأشكال الوجودية ، ولايعلم مابعده لأنهم رأوا أن فى ذلك ضررا على النصرانية ، وأن فيما أطلقوا تعليمه مايستعان به على نصرة دينهم ، فبقى الظاهر من التعليم هذا المقدار وما ينظر من الباقى مستورا إلى أن كان الإسلام بعده بمدة طويلة » (٢) .

ولقد ظلت مدرسة الإسكندرية قائمة حتى بعد أن فتح العرب مصر « وكانت تبعا لهذا المدرسة اليونانية البحتة الوحيدة فى البلاد التى غزاها العرب فى دفعتهم الأولى ، ومن المحتمل الظن بأنها لابد أن تكون قد قامت بدورها فى نقل العلوم إلى العرب (٣) . غير أن التدهور كان قد أصابها حتى أصبح « من الصعب بل قد يكون من عدم الممكن أن نفترض وجود مكتبة كبيرة عامة حقا فى الإسكندرية بعد نهاية القرن الرابع الميلادى »(٤). وعلى ذلك ففى أيام الفتح العربى لم يكن هناك مكتبة ذات أهمية فى الاسكندرية .

(١) J·Windrow Sweetman : Islam and Christian theology p 46

(٢) ابن أبى أصيبعة : جـ ٢ ص ١٣٥ طبعة الوهبية

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٣٧

(٤) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤١

ولئن اتفق كثير من مؤرخى العرب فى القول « بأنه فى الإسكندرية فى العصر الهليني المتأخر قد ألف مجموع كتب طبية ، وجوامع لستة عشر كتابا من كتب جالينوس (١) ففى يقيني أن هذه الجوامع لم يكن لها قيمة علمية تذكر ، والدليل قول أبى الخير بن الخمار « أنا اظن أنهم قد قصروا فيما جمعوه من ذلك لأنهم يعوزهم الكلام فى الأغذية والأهوية والأدوية ، قال الترتيب أيضا قصروا فيه لأن جالينوس بدأ من التشريح ثم سار إلى القوى والأفعال ثم الاسطقسات »(٢) .

على أية حال فلقد اتصل المسلمون بمدرسة الإسكندرية منذ زمن

= — انظر فليب حتى : تاريخ العرب : المجلد الاول ص ٢٠٢ .
— واقرن ذلك بقول القفطى ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ أخبار الحكماء « فشرع عمرو بن العاص فى تفرقة كتبها على حمامات الإسكندرية وأحرقها فى مواقدهم »
— واقرنه أيضا بما ذكره ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٥
— ارجع بعد ذلك إلى الأدلة التى ساقها جواهر لال نهرو لتفنيد هذه الفرية فى كتابه « لمحات من تاريخ العالم » ترجمة الدكتور عبد العزيز عتيق ص ٣٩ .
— وارجع ايضا إلى الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٢٣ ، ٢٤

١ — ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤٥ .

٢ — انظر ابن أبى أصيبعه: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص١٠٨ وانظر حـ١ ص١٠٣ من نفس المرجع . وانظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٤٥ ، وانظر محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٧٩ .

الفتح ، ولما جاءت الدولة الأموية شجع اهتمام خلفائها بالعلوم المسيحية على تأكيد هذه الصلة ، فاستدعى خالد بن يزيد بن معاوية (١) بعض العلماء من الإسكندرية ، وكلفهم ترجمة كتب الكيمياء إلى اللغة العربية ، ومن هؤلاء إسطفانوس وماريانوس . كذلك قام ماسرجوية (٢) (ماسرجيس) فى عهد مروان أو فى عهد عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب فى الطب لأهرن القس إلى العربية ، وكان قد وضعه بالسريانية . ثم انتقلت مدرسة الإسكندرية (٣) إلى مدينة أنطاكية فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ، ويمكن « أن نعزى ذلك إلى أن الإسكندرية فقدت أهميتها بعد أن اتخذ العرب عاصمتهم فى الفسطاط ، وأصبحت الإسكندرية فى عزلة تامة عن مركز السيطرة والسلطان ، فكان قيام الدولة الأموية فى الشام وعلو نجم الأمويين وعاصمتهم دمشق حافزا على انتقال مركز العلم والعرفان إلى موطن حكمهم ، وأخذ بعض الخلفاء والأمراء الأمويين يشجعون

---

(١) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ﺣ ١ ص ٢١١ وانظر ابن النديم : الفهرست ص ٥١١ وانظر خودابخش : الحضارة الاسلامية : ترجمة الدكتور على حسنى الخربوطلى ص ١٥٣

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ٥٧
وانظر ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٧
وانظر خودابخش : الحضارة الاسلامية ص ١٥٣ .

(٣) راجع الروايات العربية عن انتقال مدرسة الاسكندرية عند ماكس مايرهوف فى بحثه « من الإسكندرية إلى بغداد » من ص ٦١ الى ٦٠ .

رعاياهم الصليبين فى العلوم الإغريقية على متابعة جهودهم , وقربوا إلى بلاطهم من يمكن الاستفادة بهم كالأطباء حتى أضحت الشام تربة صالحة تنتقل إليها معارف مدرسة الإسكندرية (١) .

ولقد ذكر خودابخش أن عمر بن عبد العزيز « اهتم بالدراسات اليونانية أثناء حكمه لمصر فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، وفى مصر تعرف بابن أبجر مدرس الفلسفة اليونانيــة فى الإسكندرية ، وقد استمرت الصــداقة طويلا ، وحينما تولى عمر بن عبد العزيز انتقلت الدراسات اليونانية من مصر إلى أنطاكية وحران ومنها إلى سائر الأمصار الإسلامية ، والأستاذ شبلى على حق فى ظنه أن الفضل فى ذلك يرجع إلى رحيل ابن أبجر عن الإسكندرية »(٢) .

ولقد ظلت بقايا مدرسة الإسكندرية ماثلة حتى العصــر العباسى « وهى وإن ضعفت تعاليمها ودراستها فقد كان لها أثر باق فى هذا العهد » (٣) .

(١) الدكتور إبراهيم العدوى: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٤
(٢) خود ابخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
(٣) أحمد أمين وزكي نجيب محمود : قصة الأدب في العالم حـ١ ص ٢٧٦ .

ثانيـاً حـران

تقع حران فى شمال العراق بين الرها ورأس العين ، وقد اتخذت عاصمة لإمارة فدان آرام ، كما « كانت مركزا هاما من مراكز الثقافة الآرامية ، تردد ذكرها فى التوراة مما يشير إلى صلة الآراميين بالعبرانيين » (١) .

ولقد سكنها كثير من اليونانيين على عهد الإسكندر الأكبر ، وكان من أثر ذلك « أن الآلهة المعبودة عند الحرانيين اتخذت أسماء يونانية (٢) .

وترجع أهمية حران إلى أنه اتصلت فيها « وثنية الساميين القديمة بالأبحاث الرياضية والفلكية ، وبنظريات المذهبين الفيثاغورى الجديد والأفلاطونى الجديد » (٣) .

ولما جاءت المسيحية لم يعتنقها الحرانيون ، ولذلك سميت حران هيلينوبوليس (٤) أى مدينة الوثنيين بدافع (٥) السخرية والاحتقار .

---

(١) الدكتور نجيب ميخائيل : تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ سوريا ص ٢٧

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٦

(٣) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة محمد عبد الهادى أبوريده ص ١٨ .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية فى مادتى حران وصابئة .

(٥) الدكتور عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص٧١—٧٢.

ويبدو « (١) أن دينهم كان مزيجا من الديانة البابلية واليونانية القديمة والأفلاطونية الحديثة حتى كان شأنهم كذلك فى العصر الإسلامى إلى عهد المأمون ، فتسموا إذ ذاك بالصابئة احتماء بما يفهم (٢) من القرآن الكريم من عد الصابئين من أهل الكتاب ، واستنادا إلى أن « أحدا لم يكن يعرف من هم الصابئون » (٣) . ومما يجدر ذكره أنه « لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة » (٤) قبل ذلك .

وقد وقع خلاف فى أصل الصابئة ففى الآثار الباقيـــة « أن أول المذكورين من المتنبئين بوذاست .... وقد دعا إلى ملة الصابئين ... وبقايا أولئك الصابئة بحران ينسبون إلى موضعهم فيقال لهم الحرانية .. .

= — اقرن ذلك بقول الدكتور إبراهيم العدوى « وكانت مدينة حران تسمى هيلينوبوليس . أى مدينة اليونانيين لتقدم العلوم اليونانية » .

« الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦ .

(١) احمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٧ .

(٢) راجع قول الله تعالى «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » سورة المائدة : الآية ٦٩

— وراجع أيضـــا قوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شىء شهيد » سورة الحج : الآية ١٧ .

(3) Oleary : How Greek Science Passed to the Arabs P. 172-173.

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٦٠ ، راجع فى هذا الموضوع أسباب =

وقد قيل إن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة ، بل هم المسمون فى الكتب بالحنفاء والوثنيين » (١) .

وفى كشف الظنون أن الصابئة هم « الذين قالوا بغاذيمون وهرمس وهما شيث وإدريس عليهما السلام ، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء »(٢).

وفى التنبيه والإشراف « وصابئو المصريين الذين بقيتهم فى هـذا الوقت صابئو الحرانيين » (٣) .

ويرى أوليرى « أن الصابئين الحقيقيين كانوا فى جنـوب بلاد العرب ، ولم يكن لحران علاقة بهم ... » (٤) .

ولقد اختلفت مذاهب الصابئة باختلاف فرقهم فهناك « صـابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وصابئة فلاسفة ، وصابئة يأخذون بمحاسن

= انتحالهم بهذا الاسم . ثم راجع ماعلق به :

ـــ وراجع أيضا : دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام : ص ١٩ .

ـــ كذلك راجع الدكتور ابراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٦ .

(١) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص٢٧

ـــ انظر دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٩

ـــ وانظر الشهرستانى : الملل والنحل القسم الثانى ص٦٦٣.

(٣) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٠١

(4) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs p. 173

ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ولا نحلة » (١) .

ومن الصابئين من « يعتقد فى الأنواء اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء »(٢)

ومنهم من يرى « أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان ، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة »(٣) .

ويذكر ابن العبرى أن « دعوة الصابئة هى دعوة الكلدانيين القدماء بعينها » (٤) .

ومن الصابئين قوم سكنوا البطيحة « وهى أرض واسعة بين واسط والبصـــرة ، وهؤلاء كانوا « فرقة من النصارى يؤمنون بالمسيح عليه السلام » (٥).

ومن طوائف الصابئة الحرنانية ، وقد قال هؤلاء « إن الصانع المعبود واحد وكثير ... وقالوا هو أبدع الفلك ، وجمع ما فيه من الأجرام

---

(١) الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب جـ٢ ص٢٢٥ .
(٢) نفس المرجع جـ ٢ ص٢٢٣
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل : تحقيق محمد بن فتح الله بدران القسم الثانى ص ٦٧٣
(٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص٢٦٦
(٥) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٠٤

والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم » (١) .

ولقد قامت مدرسة حران فى عهد الخليفة المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١ م ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) حين انتقلت إليها مدرسة أنطاكية ، ولقد « تم نقل هذه المدرسة إلى حران على يد تلميذين لا يعرف اسمهما ، تتلمذا على أستاذ كان فى أنطاكية لا يعرف اسمه كذلك ، وحمل هذان التلميذان معهما مكتبة أنطاكية إلى حران » (٢) .

ولقد توفرت عدة عوامل ساعدت حران على أن تخلف أنطاكية « إذ كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية فى المنطقة التى تتكلم أهلها اللغة السريانية ، كما كانت كذلك مركزا للتبادل والاتصال الثقافى » (٣) .

ولقد ظلت مدرسة حران تقوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها علماؤها إلى بغداد فى خلافة المعتضد .

يقول نيكولسون « إن مدرسة الصابئة ببغداد وهى المدرسة التى

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل : القسم الثانى ص ٨٧٢ وانظر ص ٧٨٨ من نفس المرجع .
— راجع القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٠٤ .
(٢) الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
— راجع الدكتور عبدالرحمن بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص ٦٩ ، ٧١ .
(٣) الدكتور إبراهيم العدوى الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٦
— انظر الدكتور أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٧٤ .

أنجبت طبقات متعاقبة من أفذاذ العلماء والفلاسفة لم تؤسس حتى نهاية القرن التاسع ، ومع ذلك يكاد الإنسان يوقن بأن الاتصـــال الفكرى بين الصابئة والمسلمين قد وجد سبيله إليهم قبل هـذا التاريخ بزمن طويل » (١).

وكان فى طليعـة أولئك الذين جاءوا من حـــران ثابت بن قرة (٢٢١ — ٢٨٨ ھ) الذى أوصله محمد بن موسى بن شاكر بالمعتضد ، وأدخله فى جملة المنجمين ، وهو الذى « أدخل الصابئة إلى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم ، وعلت مراتبهم ، وبرعوا » (٢).

وسنان بن ثابت وكان طبيبا للمقتدر ، وقد بلغ من علو منزلته أن وكل إليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وإجازتهم ، ولقد أشار سنان بفتح البيمارستان المقتـــدرى ، وأنفق عليه من ماله ، كما فتح بيمارستان « السيدة » ورتب المتطببين به ، ولقـــد « نقل إلى العربى نواميس

---

(١) نيكولسون: فى التصوف الإسلامى ص١٥ ترجمة الدكتور أبو العلاعفيفى
(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص٨١ .
— راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .
— يقول عنه كويلر يونج « أنه من مشهورى العرب الذين قاموا فى الفلك بملاحظات قيمة ، ونقلوا أعمالا مهمة ضاعت أصولها الإغريقية ، وهو زعيم طائفة من عبدة النجوم ازدهرت فى حران إلى أن خرب المغـــول معبدهم فى القرن الثالث عشر » .

« أثر الإسلام الثقافى على المسيحية ص٢٣٦» مقال فى« كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله .

هرمس ، والصلوات التي يصلى بها الصابئون ، ومن تصانيفه (١) رسالة في تاريخ ملوك السريان ، ورسالة في شرح مذهب الصابئين .

وإبراهيم بن سنان : وكان فاضلا في علم الهندسة ، مقدما فيها ، وله مصنفات حسان في هذا الشأن (٢) . من أهمها إحدى عشرة مقالة في الدوائر المتماسة .

وهلال بن إبراهيم : وكان طبيبا حاذقا تقدم عند أجلاء بغداد وخالطهم بصناعته .

وثابت بن إبراهيم (٣) : وكان كذلك طبيبا حاذقا ببغداد .

والبتاني وهو « أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم ...... وكان أصله من حران صابئا » (٤) .

وهكذا قدمت حران كثيرا من الأساتذه الذين أمدوا الفكر العربي بطاقة هائلة دفعته نحو التقدم .

وقد ظهر أثر الحرانيين « الأكبر في الرياضيات وخاصة الهيئة ، ولعل ما في ديانتهم من تعظيم الكواكب ، وإقامة الهياكل لها ، كان باعثا على نبوغهم في العلوم الرياضية والفلكية » (٥)

---

(١) انظر قائمة بتصانيفه في أخبار الحكماء للقفطي ص ١٣٣

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥

ـــ راجع القفطي : أخبار الحكماء ص ٤٢،٤٢

(٣) انظر تفاصيل أخباره عند القفطي : أخبار الحكماء ص ٧٨، ٧٩، ٨٠

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٩

كذلك كانت حران « أحد المراكز الرئيسية التي أشعت الثقافة اليونانية على العالم الإسلامي .... فالشهرستاني وغيره من المؤلفين المسلمين يصفون دين الحرانيين الفلسفي وصفا ينطبق على الأفلاطونية الحديثة ، كما نعرفها في فلسفة ابرقلس ويمبليخوس » (١) ولقد تفوق الحرانيون على الآخرين « بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذا كانت ترجمتهم أكثر دقة » (٢)

ولقد عرض سويتمان إلى الأفكار التي انتقلت إلى المسلمين عن طريق حران فقال ما ترجمته « إن أدب هرمس المتعدد الجوانب كان له تأثيره في حران ، ويضاف إلى هذا الأفلاطونية الحديثة التي لم يكن من السهل أن نفرق بينها في هذا المجال وبين فكرة الخلاص الهندية ، فإذا كان من المستطاع أن نطلق على هذا المركب الحضاري اصطلاحا

= — انظر الدكتور إبراهيم العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص١٦٦

(١) نيكولسون : في التصوف الإسلامي : ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي ص ١٥ .

— ويتفق معه فون فيسندك فيقول إن امتزاج الحضارة العربية ببقايا المدنيات القديمة ، ولاسيما بتلك التي برزت من مدينة حران السورية أهمية خاصة فمنها كانت تتسرب بدائع الحضارة اليونانية إلى نظم القرن التاسع »

ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية في القرن الرابع عشر ص ١٧١ : ترجمة محمد عبد الله عنان : رسالة نشرت مع فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

(٢) خودا بخش : الحضارة الاسلامية ص ١٥٨ .

أو تعريفا . فإنه كان قد نضج وتم قبل أن يصل إلينا ، وإن التمييز الذى صنعه الحرانيون بين هرمزوسيث أنبيائهم وبين أغاذيمون وايثك يشير إلى نزع من الغنوسطية ، وربما كان لبعض الأفكار الذاهبة إلى وحدة الوجود فى الإسلام أصول فى هذه المدرسة ، ولم تكن الأفكار الصوفية وحدها ذات أهمية عند الحرانيين ، فقد شاعت بينهم بعض الأفكار الأرسطية المشهورة ، وقد ذكر الفهرست أبورح الصابئ على أنه مترجم لكتاب الطبيعة ، كما لخص ثابت بن قرة كتاب التاسوعات ، وشرح جزءا من كتاب الطبيعة مع بعض تعليقات لفورفوريوس ، ولم تكن الصابئة بمنأى عن التأثر بالمسيحية إذ أنها لم تكن بعيدة عنها فى الرها ورأس عين »(١)

---

(1) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology P. 85.



ثالثا : جنديسابور

حين تولى سابور بن أردشير « ٢٤١م — ٢٧٢م » أمر الفرس ، استطاع أن يهزم فاليران إمبراطور الروم سنة ٢٥٨م ، ويغزو بلاده ، ويفتح منها عدة بلدان ، ولقد تمكن سابور فى هذه الحرب من أن يأخذ فاليران أسيرا هو وجيشه ، ولكنه كان لطيفا مع هؤلاء الأسرى لثقافتهم الفائقة ، ولرغبته الملحة فى استغلال مواهبهم ، واستثمار مهارتهم فيما يعود على بلاده بالخير (١) ولقد استخدمهم فى تنفيذ كثير من المنشآت الهندسية ، فأرسل كثيرا منهم ليقيموا خزانا (٢) عظيما يسمى « شاذوران » على نهر الدجيل (٣) أسفل تستر .

وكان من نتيجة ذلك أن ارتفع ماء النهر إلى المدينة لأن تستر كانت تقع على مكان مرتفع من الأرض (٤) ، ولقد وصف ياقوت هذا

---

(١) يقول أبو حنيفة الدينورى فى «الأخبار الطوال ص ٤٩ ط . ليدن» كان سابور قد أسر الريانوس خليفة صاحب الروم ، فأمره ببناء قنطرة على نهر تستر على أن يخليه ، فوجه اليه ملك الروم الناس من أرض الروم والأموال فبناها ، فلما فرغ منها أطلقه » .

(٢) جاء فى تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ١٨٠ « وهندس له رئيس الروم القنطرة التى على نهر تستر وعرضه الف ذراع »

(٣) ذكر ياقوت فى معجم البلدان جـ ١ ص ٨٤٨ أن بخوزستان أنهار كثيرة وأعظمها نهر تستر وهو الذى بنى عليه سابور الملك شاذوران بباب تستر » .

(٤) راجع ابن خرداذبه : المسالك والممالك ط . ليدن ص ١٧٢ وراجع ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٢٧ .

الشاذوران بأنه من عجائب الأبنية ، فطوله نحو الميل ، وهو مبنى بالحجارة المحكمة والصخر وأعمدة الحديد (١) .

وقد أسكن سابور هؤلاء الأسرى فى ثلاث مدن ، كانت إحداهـا قريبة من سوسة ، وقد سميت « به آن انديوى سابور » أو السابورية التى تفضل أنطاكية (٢) أو جنديسابور (٣) أى معسكر سابور .

ولقد ظل شأن جنديسابور عظيما حتى عهـد هرمز إذ توقفت عن أن تكون مقرا ملكيا منذ ذلك الحين ، وبدأت تتحول تدريجيا إلى أكوام من الخرائب والأطلال حتى جاء سابور الثانى ، وألقاها على هذه

---

(١) انظر معجم البلدان جـ ١ ص ٨٤٨ . وانظر ابن خرد ذبه : المسالك والممالك ص ١٦٢ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٨٦١ — ص ٨٦٦ الطبعة الحسينية .

(٣) يقول أبو حنيفة الدينورى فى الأخبار الطوال ، إن اسمها بالخوزية نيلاط وأهلها يسمونها نيلاب ، ص ٤٨ .

— وفى معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٦١ (أن من أسماء جنديسابور نيلاب ، وكان اسمها قديما نيلاط .

— انظر سبب التسمية فى معجم البلدان جـ ٢ ص ١٣٠ ، جـ ٣ ص ٥ .

— يذهب القفطى إلى أن «سابور ابن أردشير كان قد هادن فيليبس قيصر ملك الروم ، فطلب منه أن يزوجه ابنته ، وقبل أن تنتقل اليه بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية ، وهى مدينة جند يسابور» ، أخبار الحكماء ص ٩٣

— يتبع عيسى اسكندر المعلوف ابن القفطى فى كتابه : تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة ص ٩ ط . دمشق .

الحال فأعاد بناءها (١) وسماها أنتيسابور أو أنطاكية سابور .

وقد رجح أوليرى (٢) الرأى القائل بأن سابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢ م) هو الذى أسسها ، وإن كان سابور الثانى قد جدد معالمها بعد أن تهدمت ، وتدهورت منذ أيام هرمز غير أن « أدى شير » يذكر أن سابور الأول « قد جدد بناء كوند يشابور ودعاها انطيشابور » (٣) .

ويبدو أن رأى أوليرى مستقى مما قرره معظم المؤرخين القدامى أمثال اليعقوبى (٤) ، وياقوت (٥) ، وأبى حنيفه الدينورى (٦) ، وابن الأثير (٧) .

---

(1) Oleary : How Greek Science passed to the Arabs P 17.

(٢) نفس المرجع ص ١٧ .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢٦

(٤) (وملك سابور بن أردشير .... فبنى مدينة جنديسابور) ج ١ ص ١٨٠ .

(٥) (جنديسابور .... بناها سابور بن أردشير) معجم البلدان ج ٢ ص ١٣٠ .

(٦) (فلما ملك سابور بن أردشير .... بنى مدينة جنديسابور) الأخبار الطول ط . ليدن ص ٤٨ .

(٧) (إن سابور ذا الأكتاف ....أسر قيصر .... وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبنى ما هدم المنجنيق من جند يسابور) الكامل ج١ ص ١٥٨ . — راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٥١ .

فلقد اتفقت كلمة هؤلاء على أن سابور بن أردشير هـو الذى بنى جنديسابور ، وأن سابور الثانى هو الذى أعاد بناءها .

ولقد اتفق مع أوليرى غير (١) واحد من المحدثين .

ولقد ذهب الفردوسى الى أن أردشير هو الذى بنى جنديسابور . يقول فى الشاهنامه « ثم أمر ببناء مدينة على اسم ولده سابور ، وهى التى تسمى جنديسابور » (٢) .

ولقد جعل سابور من جنديسابور مركزا للنشاط العقلى فقد أبدى « عنـــاية عظيمة بجمع كتب الفلسفة لليونانيين ، ونقلها إلى اللغة الفارسية » (٣) وبعث رسله إلى بلادهم ليجتلبوها له « ثم اختزنها فى مدينته وأخذ الناس فى نسخها وتدوينها » (٤) كذلك استقدم إليها من ذاعت شهرته من العلماء والحكماء ، وكان دورسوس (٥) السريانى واحدا من الذين قاموا بشرح هذه الكتب وتعليمها للناس ، ولقد اقتفى سابور الثانى أثر سابور الأول فاستدعى الكثيرين ممن نبغوا فى الطب وتأليفه ، وحبب إليهم

(١) راجع ف . بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ٤٦ .

— انظر أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٥ .

— وانظر الدكتور التيجانى الماحى : مقدمة فى تاريخ الطب العربى ص ٥١

(٢) حـ ٢ ص ٥٢ .

(٣) أبو الفدا حـ ١ ص ٥٠

— رجع الفهرست لابن النديم ص ٣٤٧ ، ٣٤٨

(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى حـ ٣ ص ١٣٢

(٥) انظر ابن النديم : الفهرست ص ٣٤٨ .

الإقامة فى جنديسابور ، وكان من بين هؤلاء طبيب يونانى اسمه تيادورس (١) .

وعندما أغلق الإمبراطور زينون مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م لاعتناق أساتذتها المذهب النسطورى ، فر إلى جنديسابور جميع من فلاسفتهم وأطبائهم فاحتضنهم أكاسرة بنى ساسان .

ولم تكن لغة أهل جنديسابور واحدة ، وإنما كان فيها من يتكلم الإغريقية ، ومن يتكلم السريانية ، وقد تكون الظروف قد اضطرت السكان إلى استعمال الفارسية « غير أن اللهجة السريانية أصبحت لغة الدراسة فى الطب وفى العلوم الطبيعية فى مدارس الفرس تحت حكم الساسانيين ، وكان ذلك على الخصوص فى مدرسة جنديسابور » (٢) .

ويبدو أن الحركة العلمية الدائبة التى أحدثها أولئك الأسرى الرومانيون منذ أن استوطنوا جنديسابور هى التى دفعت بهذا البلد إلى أن يصبح فيها بعد منبعا للثقافة اليونانية (٣) ، بل إن ذلك كله كان بمثابة الإرهاصات الأولى لمدرسة علمية كان لها شأنها فى تزويد الفكر

(١) يقول ابن النديم : « إن تيادورس كان نصرانيا ، وبنى له سابور ذو الأكتاف البيع فى بلده ، .... ونقل له إلى العربى كتاب كناش تيادورس » الفهرست ص ٤٣٦ .

— انظر ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٣٠٨

(٢) الدكتور حسن عون : العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٢١

(٣) راجع أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٥ .

الإنسانى بدفعات كلها قوة وحيوية ، فلقد أسست فى جنديسابور (١) فى عهـــد خسرو الأول (٥٣١ — ٥٧٩م) مدرسة طب يونانية سورية ، وكان خسرو الأول بوجه عام « كثير الإعجاب بالثقافة الإغريقية الرومية ، ورغب رغبة خصوصية فى أن يجلب علم الأغريق إلى ممتلكاته » (٢) ، وقدد فمته رغبته فى أن تكون لديه مدرسة فى مملكته كتلك المدرسة التى قامت فى الإسكندرية ، وذاع صيتها إلى أن يرحب بالفلاسفة الذين طردوا حين أوصد جستنيان أبواب مدارس أثينا ، فأكرم وفادتهم ، وحبب إليهم الإقامة فى رحـابه ، وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها إلى الفـــارسية ، فنقـلوا المنطق والطب . ويرى ماكس فانتاجو أنه « بفضل هؤلاء العلمـاء نظمت المدارس الفارسية على طراز مدارس أثينا والإسكندرية ، وحملت تقاليدها ، كما أن كتبا كثيرة نقلت بواسطتهم إلى الفهلوية ، وانتشرت الثقافة اليونانية بسرعة فى بلاد فارس » (٣) .

ولقد كانت مدرسة جنديسابور فى بدايتها مستشفى (٤) لمعـــالجة

---

(١) راجع ف بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزه ظاهر .

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ١٠١ .

— يذكر ابن النديم أن كسرى أنوشروان جمع الكتب وألفها ، وعمل بها لنيته كانت فى العلوم ومحبته « الفهرست ص ٣٤٨ .

(٣) المعجزة العربية ترجمة رمضان لاوند ص ٢٥ .

— انظر جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيـــا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٢ .

(٤) راجع جرجى زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٩١ .

المرضى وتعليم صناعة الطب ، وكان الرومان أول من علم الطب بها ، ذلك لأنهم « لما أقاموا بها بدأوا يعلمون أحداثا من أهلها ، ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ، ويتزايدون فيه ، ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل (١) .

ولقد ترسمت مدرسة جنديسابور خطوات مدرسة الإسكندرية ، واستلهمت خططها ومناهجها ، بل واستعارتها منها ، وأفسحت لها المجال فى دراستها ، فكان برنامج الدراسة فيها صورة لما كان عليه فى الإسكندرية.

يقول أوليرى إنه « فى أواخر عهد مدرسة الإسكندرية اعتبرت مؤلفات غالين (٢٠٠م) حجة فى الطب ، واتخذت مختارات من مؤلفاته برنامجا رسميا لدراسة الطب ، وقد استعيد هذا البرنامج فى مدرستى الرها وجنديسابور ، وأعدت نسخ سريانية ليستعملها الطلبة الذين يتكلمون السريانية » (٢) .

ويذكر أوليرى فى موضع آخر من كتابه مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب أن خسرو الأول « جلب منهج الدراسة الإسكندرى ، فقامت الدراسة على كتب جالين ، كما كانت الحال فى الإسكندرية أيضا » (٣) .

---

(١) القفطى أخبار الحكماء ص ٩٣

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٥٠

ـــ يقرر أحمد أمين أن « فى مدرسة جنديسابور كانت تعلم العلوم اليونانية باللغة الآرامية » ضحى الاسلام ص ٢٥٥

(٣) ص ١٠١

غير أن ذلك كله لم يمنع الثقافات الأخرى من أن تجد لها مكانا وسط هذه الدراسات الجادة مما يشير إلى أن أساس التعليم فى مدرسة جنديسابور كان غير مقصور على المؤلفات اليونانية والسريانية ، بل أضيف إلى ذلك تعاليم من فلسفه الهند وآدابها وعلومها ، وترجمت إلى اللغة الفهلوية ، وهى اللغة الفارسية القديمة » (١) .

ويتضح من هذا أنه كانت تدرس (٢) فى هـذه المدرسة العلوم اليونانية والسريانية والفارسية والهندية جنبا إلى جنب مما يدفع إلى القول بأنه من الخطأ أن يظن أن اليقظة الفكرية فى فارس قد اعتمدت فقط على المسيحيين النساطرة .

يقـول أحمـد أمين إن فى مدرسة جنديسابور « كانت الثقـافة الهندية تدرس بجانب الثقافة اليونانية ، وكان يشترك بعض الهنـود فى التدريس باللغة الفهلوية » (٣) .

ويذكر ماكس فاتساجو أن « كسرى قد أمر بنقل الكتب الهندية المكتوبة باللغة السنسكريتية التى حملها إليه سفراؤه من الهند إلى اللغتين السريانية والفهلوية ، وبذلك قوبلت فى جامعة جنديسابور النظريات الهيلينية الطبية بنظريات الأطباء الهنود ، وتسنى لطلاب اللغة السامية أو الإيرانية الاطـلاع على مؤلفات العلم اليونانى الرئيسية وأحدث

(١) إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ١٣ .
(٢) راجع جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط : ترجمة عمر الإسكندرى ص ٤٥ .
(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٥٦ .

نجاحات العلم الهندى » (١) .

وهكذا التقت فى جنديسابور الحكمة الهندية والفارسية واليونانية التقاء خصبا أدى بمدرستها إلى أن « اشتهرت فى بلاد الفرس اشتهار مدرسة الإسكندرية فى مصر ، ومدرسة بيروت فى سورية » (٢)

ولقد أورد القفطى خبرا عن أطبائها يدل على أنهم كانوا أهلا لما عرف عنهم من فضل ، وما اشتهروا به من علم ، فيقول « فى سنة عشرين من ملك كسرى اجتمع أطباء جنديسابور بأمر الملك ..... وجرى بينهم من المسائل والتعريفات ماإذا تأملها القارىء استدل على فضلهم وغزارة علمهم » (٣) .

ولقد بدأ اتصال العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام ، فلقد تغلغل النفوذ الفارسى فى الجزيرة العربية أيام كسرى الأول الذى استجاب لنجدة اليمنيين ، فأرسل لهم حملة حررتهم من نير المسيحيين الأحباش سنة ٥٧٠ م ، مما كان سببا فى توثيق العلاقات الفارسية العربية ، وحدا بعدد عظيم من جند هذه الحملة ممن طاب لهم المقام باليمن أن يتخذوا لأنفسهم زوجات عربيات ، ثم يستوطنوا اليمن ولايبرحوها ، ولقد سارت الأمور إلى أبعد من ذلك إذ أن بلاد العرب الجنوبية ظلت ولاية فارسية إلى أن فتحها المسلمون (٤) .

---

(١) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٢٥ :
(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١٢ .
(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٣ .
(٤) راجع بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ١٤ .

والذى يهمنا أن ننبه إليه هو النتائج الثقافية التى ترتبت على هـذا الاتصال ، فلقد سنحت الفرصة للطلاب العرب أن يواصلوا دراساتهم فى الجامعات الفارسية ولا سيما جنديسابور . يقول ابن العبرى فى حديثه عن الحارث بن كلدة « إنه من أهل الطائف ، رحل إلى أرض فارس ، وأخذ الطب عن أهـل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها فى الجاهلية وقبل الإسلام ، وجاد فى هذه الصناعة ، وقد أدرك الحارث الإسلام ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه » (١) .

كذلك عمل هذا الاتصال على تمكين العرب من فهم الحضارة الفارسية وتقديرها ، كما عمل على تعريفهم بطراز الحكم فى فارس وأساليب القتال التى يجيدها الفرس ، وقد يجد الباحث فى ذلك بصيصا من الضوء يفسر انتصارات العرب العسكرية بعد ذلك ، ولا شك أن هذه الخطوات كانت بمثابة إرهاصات بقيام الحضارة العربية الفارسية التى ازدهرت فى بغداد بعد ذلك بقرنين من الزمان .

ولقد فتح المسلمون جنديسابور فى أيام عمر بن الخطاب وعلى وجه التحديد فى السنة التى فتحوا فيها « نهاوند » أى سنة ٢٩ هـ (٢) ، غير أن ابن الأثير يجعل فتحها سنة ١٧ هـ (٣) .

---

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٦

وانظر القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٣٠

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٣٤

ولقد ظلت المدرسة على الرغم من الفتح العربي تولى عنايتها للدراسات الإغريقية ولاسيما مايتعلق منها بالطب .

يقول ف بارتولد « كان للمسلمين طريق آخر غير بوزنطه لتلقى العلوم اليونانية ، وهو مدرسة الطب التى بجنديسابور ، والتى بقيت قرونا عدة بعد فتح المسلمين »(١) .

ويقول خودابخش « رغم سقوط الدولة الفارسية فقد استمرت الأكاديمية فى نشاطها طوال ثلاثة قرون انقضت على نهاية الساسانيين »(٢)

ويرى ماكس مايرهوف « أنه لم يكن لمدرسة جنديسابور فى العصر الأموى أى أثر فى قيام مدرسة طبية ، ولو أن بعض الأطباء أتوا من هناك إلى جزيرة العرب وسوريا ، وإنما بدأت العناية تتجه إلى هذه المدرسة فى أوائل حكم العباسيين » (٣) .

ويقول كويلر يونج « وقد تلقى المسلمون العلم اليونانى عن طريق السريان المسيحيين ولا سيما النسطوريين الذين كانت عاصمتهم الفكرية مدينة جنديسابور ، قام هؤلاء السريان بالترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية خلال القرنين الأولين من الإسلام ، وقد أضيف الكثير إلى هذا فى القرنين التاليين » (٤) .

وعلى أية حال فلقد كانت مدرسة جنديسابور أحد الروافد التى استقى

(١) ف. بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزه طاهر ص ٥٣ .
(٢) خوادبخش : الحضارة الإسلامية ص ١٥٧ .
(٣) من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥ .
(٤) كويلر يونج : أثر الإسلام الثقافى على المسيحية : ص ٢٤٧ .

منها الحقل العربى علوم اليونان ودراساتهم ، ولقد تمثل أثرهـا (١) فيما قام به أفراد أسرة بختيشوع . كان هؤلاء يتمتعون بمكانة مرموقة لما كانوا عليه من قدرة ومهارة فى صنـــاعة الطب مما قرب بينهم وبين الخلفـــاء ، فرفعوا شأنهم ، وبهذا تهيأت لهم الظروف ليسهموا بجهودهم فى نقل التراث اليونانى إلى العرب ممـــا سنفصل الحديث عنه فى مكانه من هذا البحث .

---

(١) راجع بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية جـ ٢ . د. الامبراطورية الإسلامية واضمحلالها ص ٣٨ .

رابعاً ـ الرها

فى الجزء الشمالى الغربى من إقليم ما بين النهرين كانت تقوم مملكة الرها ، وفى مكان يقع شرقى الفرات قامت الرها عاصمتها .

يقول جويدى « واسمها القديم باليونانى « الروهة » ، وبه سميت عند العرب الرها ، وأما من قال إنها سميت باسم مستحدثها وهو الرهاء بن البلندا فوهم » (1) .

ولقد ظلت مملكة الرها مستقلة فترة امتدت بضعة قرون قبل الميلاد وبعده « من ١٣٢ ق.م إلى ٢٠٦م » ، ويستدل من أسماء ملوكها « معن ووائل ، وأبجر » على أن الأسرة الحاكمة كانت عربية .

ولقد كانت الرها من « أهم مراكز اللغة السريانية » (2) ، ولما دخلتها المسيحية فى مستهل القرن الثانى اكتسبت هذه اللغة نفوذا سما بها إلى أن ينقل إليها الكتاب المقدس ، وأن يتخذها المسيحيون لغة لهم ، وتصبح الوسيلة المعبرة عن الثقافة المسيحية .

يقول فيليب حتى « إن الترجمات الرئيسية للتوراة السريانية قد وضعت هناك فى أواخر القرن الثانى » (3) .

---

(1) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨١

(2) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٥٥

(3) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٣٧١

ولقد كانت بيئة الرها مسرحا لثقافة فائقة فى العهد الوثنى ، ولئن وقفت تعاليم المسيحية حائلا دون ظهورها لأنها لم تسايرها فان ماكشفت عنه الآثار يؤكد هذه الحقيقة . كذلك تشير بعض النصوص الأدبية إلى أن الحضارة الآرامية كانت مزدهرة خـــلال القرنين الأول والثانى الميلاديين ، فمن خلال استعراضنا لقصة فيضان نهر ديصان (١) « ٢٠١م » تنكشف لنـــا معالم حضارة على قدر محمود من الرقى ، ولقد كان من الخسائر التى سببها هذا الفيضان المروع تصدع كنيسة المسيحيين التى وصفتها المراجع (٢) العربية بالعظمة والبهاء .

ولقد أتيح للسريان أن يتأثروا تأثرا ملموسا بالثقافة اليونانية . يقول الدكتور مراد كامل « من المؤكد أن الأساليب اليونانية كانت ذات أثر فيما وصلت إليه اللغة السريانية ، فقد حاكى السريان الأبنية اليونانية فى بعض كتاباتهم ، وقلدوهم فى طريقة استعمال الكلمات ، بل إنهم نقلوا إلى لغتهم كثيرا من الكلمات اليونانية ، كما أسسوا علم النحو فى لغتهم على غرار النحو اليونانى ، واتخذوا من الصوائت اليونانية حركات يستعملونها فى كتاباتهم » (٣) .

---

(١) انظر النص كاملا عند الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص٢٤ - ٢٦ .

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٣٤
— ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٦١
— المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٢٤

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٥

وبالرغم من أن تعلم اللغة كان مقصورا على أبناء الأغنياء إلا أن بعض الأدباء كانوا يؤلفون بها ، ثم تنقل كتبهم إلى اللغة السريانية لكى يفهمها سائر الناس ، كذلك استعمل السريان فى كتاباتهم كثيرا من المصطلحات اليونانية (١) .

ولقد كان هذا التأثير نتيجة طبيعية للعوامل التى مهدت له ، وأدت إلى نتائجه ، فلقد اختلط اليونان بالسريان اختلاطا كبيرا ، كذلك انتشرت الأديرة والمدارس التى اضطلعت بالنشاط العلمى الذى يتناول العلوم السريانية واليونانية على حد سواء .

ولقد قامت هذه الأديرة بدور العوامل الفعالة فى تقوية النفوذ السريانى وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية ، فيترك عليها طابعه . فلقد استجدت أفكار جديدة عرض لها الشعراء فى قصائدهم ، من ذلك ماقاله (٢) عدى بن زيد فى دير علقمة :

نادمت فى الدير بنى علقما ... مشمولة تحسبها عندما
كأن ريح المسك فى كأسها ... إذا مزجناها بماء السما
من سره العيش ولذاته ... فليجعل الراح له سلما
علقم ما بالك لم تأتنا ... أما اشتهيت اليوم أن تنعما

وقد أتيحت الفرصة للغة العربية لكى تصبح لغة كتابة يسجل بها تاريخ هذه الأديرة .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٣٦ .

(٢) انظر لويس شيخو : شعراء النصرانية ص ٤٧١ .

وجد فى صدر هيكل دير هند الكبرى ما يلى « بنت هذه البيعة هند بنت الحارس بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك ، وأم الملك عمر بن المنذر أمة المسيح وأم عبده ، وابنة عبده فى زمن ملك الأملاك خسرو أنوشروان ، وفى زمن إفرائيم الأسقف فالإله الذى بنت له هذا البيت يغفر خطيئتها ، ويترحم عليها وعلى ولدها ، ويقبل بها وبقومها إلى إبانة الحق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر » (١) .

كذلك وجد فى صدر دير حنظلة أثر مكتوب بالرصاص فى ساج عفور يقول « بنى هذا الهيكل المقدس محبة لولاية الحق والأمانة حنظلة ابن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياء بالعصمة يكون ذكر الخاطىء حنظلة » (٢) .

وهناك ملحظ يجب أن نتنبه له ، وهو أن بقايا اللغة الآرامية كانت حتى ذلك الحين عالقة باللغة العربية ، ومن ذلك ما لوحظ فى الأثر الذى حمل اسم امرىء القيس بن عمرو وتاريخ وفاته من اشتمال كلماته على ألفاظ آرامية .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم ص ٣٦٤
— ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٧٠٩
— أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ ٢ ص ٢٠٩ .
— « إبانه » وردت فى الديارات للشابشتى « أمانة » الذيل رقم ١٨ كوركيس عواد .

(٢) البكرى : معجم ما استعجم جـ١ ص ٣٦١ .

ولقد اعترف كثير من الباحثين بالنشاط الثقافى الذى قامت به مدرسة الرها ، وأقروا جهودها فى دراسة الفلسفة اليونانية بوجه خاص .

يقول الأب أ. س، مرمرجى الدومينيكى « إنها كانت مركزا علميا يتقاطر إليه المسيحيون الشرقيون من النواحى الفارسية »(١) .

ويقول ماكس فانتاجو « إنها كانت مركزا لمدرسة فلسفية لا هوتية »(٢) .

ويقول جرجى زيدان إنه فى مدرسة الرها « ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة أرسطو فى القرن الخامس الميلادى »(٣) .

ويقول الدكتور حسن عون إن مدرسة الرها « بدأت مبكرة بالعناية بدراسة الفلسفة اليونانية وخصوصا فلسفة أرسطو ، وكان ذلك فى القرن الخامس الميلادى »(٤) .

ولقد قامت مدرسة الرها على أكتاف أساتذة مدرسة نصيبين الذين هجروها سنة ٣٦٣م بعد سقوطها فى أيدى الفرس .

وكان القديس إفرام السريانى (توفى سنة ٣٧٥م) أحد هؤلاء

---

(١) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٤٨ ص ٦٧٥ « معاهد العلم عند الرومان واليونان والسريان » .

(٢) المعجزة العربية : ص ٢٣ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ٣٠ .

(٤) العراق وما توالى عليه من حضارات ص ١٤٣ .

الأساتذة ، وكان غزير المواد بليغ الكتابة . تلوح العذوبة والجودة والقداسة فى قصائده »(١) ، فكان ذلك دافعا للناس لكى يحملوه على معاودة التعليم ، فاضطلع بإدارة مدرسة الرها .

وهكذا كان هناك « استمرار بين هاتين المدرستين ، حتى أن مدرسة الرها ربما اعتبرت بعثا لمدرسة نصيبين » (٢) .

ويقول أدى شير « إن مر إفرام قد انطلق إلى الرها حيث فتح مدرسة لبنى جلدته عوض مدرسة نصيبين » (٣) .

ويقول أيضا « ورافق مر إفرام إلى أورهاى جميع معلمى مدرسة نصيبين وبعض أشرافها ، وفتحوا فيها مدرسة لبنى جلدتهم عوض مدرسة نصيبين » (٤) .

ولقد أمضى مرإفرام بقية حياته فى الرها ، ولم يبرحها إلا لفترات ، كان يعود بعدها ليواصل عمله فى مدرستها .

ويرى أوليرى « أن هذه الفجوات التى تخللت السنوات التى أقامها فى الرها تجعل من الصعب علينا أن نعتبره منظما وموجها لمدرستها ، وإن كان يبدو أنه كان له سلطان على مجموعة من التلاميذ التفوا حوله » (٥) .

---

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور حـ٢ ص ٤٨
(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٧٢
(٣) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ٦
(٤) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور حـ٢ ص٤٧
(5) Oleary : How Greek science Passed to the Arabs P. 51.

وحين حدث الانشقاق النسطورى بعد مجمع(١) أفسوس سنة ٤٣١ م وقفت مدرسة الرها إلى جانب نسطور (٢) وأخذت بتعاليمه .

ويبدو أن « كل ما كان يعلم فى تلك المدرسة كان موجها بحيث يوافى حاجات الكنيسة » (٣) .

وترتب على ذلك أن تضاعف الاهتمام بدراسة اللاهوت . ولاسيما على عهد هيبا ، وقد دعت الضرورة إلى الاهتمام بدراسة المنطق ، ولعل هيبا يعد المسئول الأول عن إدخال هذه الدراسات عند السريان ، وقد ظلت منذ دخولها مقدمة لازمة للدراسات اللاهوتية فى الثقافة النسطورية .

وحوالى سنة ٤٣٥ أصبح هيبا أسقفا على الرها ، فولى برصوما أمر المدرسة . وحوالى سنة ٤٥٧ م خلف نونوس هيبا على كرسى الاسقفية ،

---

(١) حضر هذا المجمع مائتا أسقف ، وكان المقـدم فيه قورلس بطريك الاسكندرية ، وكلسطوس بطريك روميه ، وبولانيوس بطريك إيليا ، فلعنوا نسطورس وتبرأوا منه ، ونفوه ، فسار إلى صعيد مصر ، فأقام ببلاد أخميم والبلينا ، ومات بقرية يقال لها سيفلح . المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٢٧ .

« أنظر أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) جلس نسطور على الكرسى القسطنطينى سنة ٤٢٨ ومما اشتهر به قوله : إن فى المسيح طبيعتين وأقنومين بشخص واحد ، وإن لاهوت المسيح ليس الناسوت وصار الناسوت هيكلا للاهوت ومسكنه ، وأن مريم لا يجوز أن تدعى أم الله ، بل أم المسيح الإله ، لم تلد اللاهوت ، بل ولدت شخصا هو إله وإنسان معا » .

« أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٢٩ .

(٣) دى بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٨ .

ولم يكن نونوس نسطوريا . فعادى النساطره ، وظل الأساقفة من بعده على هذا العداء إلى أن استطاع الأسقف سيروس إغراء الإمبراطور زينون بغلق المدرسة ، وكانت حجته « أن معلميها كانوا نسطوريين فى آرائهم » (١) .

وما ان أغلقت المدرسة حتى احتضن (٢) أكاسرة بنى ساسان أساتذتها إذ التجأ بعضهم لمدينة جنديسابور ، وهناك وجدوا من عطف الأكاسرة ما شجعهم على بناء البيمارستانات وتعليم الطب ، فبلغوا فى ذلك شأوا بعيدا .

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٦

(٢) انظر غوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ٤٣٤

خامساً : نصيبين

عرفت مدينة نصيبين بعدة أسماء ، فتسمى صوبا (١) ، ويسميها اليونان أنطاكية ميكدونيا . وكانت تحتل موقعا هامـــا فى المنطقة التى ضمت إلى روما عام ٢٧٨ م ، وبذلك أصبحت إحدى مدن الحدود بين المملكتين الرومانية والفارسية مما جعلها تدعى مدينة التخوم ، كما وصفت بأنها « ترس كل المدن المحصنة ، ورئيسة مابين النهرين ، ورئيسة المغرب وأم العلوم » (٢) .

ولقد انتشرت المسيحية فى نصيبين سنة ٣٠١م تقريبا (٣) ، وكثرت فيها المدارس والكنائس والأديرة .

ومن أديرتها دير قنى (٤) أسسه مرمارى فى المائة الأولى ، وأنشأ فيه مدرسة عرفت باسمه ، وممن نشأ فى الدير متى بن يونس . ومنها دير الزعفران (٥) ، ودير مرأوجى ، ودير مر يوحنا .

وكان بابو أول أساقفتها ، ثم تولى كرسى الأسقفية من بعـــده

---

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ ١ ص ٥

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ ٢ ص ٤١

(3) Oleary : How Greek science passed to the Arabs p 47 .

(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٦٨٧

ــ انظر الشابشتى : الديارات ذيل رقم ٢٠

(٥) الشابشتى : الديارات ص ١٢١ ، وانظـــر ذيـل رقم ١٤ ، ١٥ لكوركيس عواد .

مر يعقوب (١) سنة ٣٠٩ ، ولم يكن السكان كلهم مسيحيين ، وإنما كانت هناك كثرة من اليهود تعيش فيها ، وكان لهؤلاء أكاديمية يهودية أنشأها يهودا بن باثيرة ، وقد تعرض هؤلاء لكثير من الإيذاء حين استولى الرومان على المدينة ، ويبدو أن ماقاسوه من اضطهاد كان ذا دخل فى وضع نهاية لمدرستهم ، إذ أننا لانجد لها ذكرا بعد ذلك .

وقد بنى مر يعقوب كنيسة فاخرة فى نصيبين ، كما حضر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م مع إفرام تلميذه ، ووقع على قراراته . وقد أورد (٢) أدى شير ثبتا مفصلا بكتبه .

وفى أعقاب هذا المؤتمر أسس إسطاثيوس (٣) أسقف أنطـــاكية مدرسة فيها تشبه مدرسة الإسكندرية ، وقد تبعه فى ذلك البطريرك يعقوب ، فأسس مدرسة مماثلة فى نصيبين ، وكان هدفها الخاص هو نشر اللاهوت اليونانى بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية لأن لاهوتهم ونظام كنائسهم كانا دون المستوى الذى تقبلة الكنيسة الكاثوليكية . ولقد وكل مر يعقوب أمر الإشراف على المدرسة إلى تلميذه مر إفرام الذى اختصه بعنايته ورعايته ، فبلغت على يديه حدا عظيما من الشهرة .

ولقد عرف مر إفرام بمؤلفاته الأدبيه (٤) وبخاصة الأشعار الصوفية التى تناول فيها كثيرا من المعانى الدينية ، والفلسفية .

---

(١) أدى شير يجمل وفاته سنة ٣٣٨ م « مدرسة نصيبين » ص ٦ .

(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ ٢ ص ٤٢ .

(3) Oleary : How Greek science passed to the Arabs · P. 47.

(٤) راجع أدى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة ص ٧ .

ولما انتصر الفرس على حملة جوليان سنة ٣٦٣م ، وقعت نصيبين في أيديهم ، فأحسن شابور معاملة النصارى فيها ليجذبهم إليه ، ولكن يبدو أنهم ظلوا على ولائهم للرومان ، ولم يدينوا له بالولاء ، ولقد شاءت الظروف أن يكفر يوليانوس ملك الروم فى تلك الأثناء بالديانة المسيحية ، فيستاء لذلك نصارى نصيبين ، وبخاصة مر إفرام ، وقد دفعه ذلك إلى أن يؤلف (١) جملة قصائد يذم فيها يوليانوس ، ويثنى على شابور ، غير أن شابور كان قد حفظ له موقفه فى الدفاع عن المدينة حين الاستيلاء عليها ، فظل على كراهيته له ، فخرج مهاجرا إلى الرها ، ويذهب أدى شير (٢) إلى أن مر إفرام عاش فى نصيبين حتى سنة ٣٦٩ م ، ثم ذهب إلى الرها .

وكيفما كان الأمر ، فإن خروج مر إفرام من نصيبين وضع نقطة النهاية فى حياة مدرستها .

مدرسة نصيبين الثانية

رأينا فى الحديث عن مدرسة الرها أنه حين وقع الانشقاق النسطورى بعد مجمع أفيسوس سنة ٤٣١ م (٣) وقف أساتذتها إلى جانب نسطور ، فتعرضوا بذلك إلى كثير من الأذى والاضطهاد .

---

(١) راجع أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٩٥ .
(٢) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٤٧ .
(٣) انظر المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٢٧ .
ــ وانظر أيضا أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٣٠ .

ولما تولى نونوس كرسى الأسقفية فى الرها سنة ٤٥٧ م ضاعف من قسوته عليهم ، فهاجروا إلى بلاد الفرس .

ولقد كان برصوما مدير مدرسة الرها ممن نالهم الأذى لأنه كان زعيما نسطوريا عنيدا (١) ، فقصد نصيبين مع من هاجر اليها . وهناك قدمه الكاثوليك إلى البلاط الفارسى ، (٢) وأوضحوا للملك كيف عومل النساطرة فى الرها ، واستأذنوه فى أن يسمح لهم بأن يعيشوا فى حمايته .

ولما أغلق الإمبراطور زينون مدرسة الرها سنة ٤٨٩ م لم يجد من كان فيها من العلماء والتلاميذ أمامهم إلا أرض فارس يقصدونها ، وقد استقر جماعة منهم وعلى رأسهم فرساى (٣) « توفى ٥٠٧ م تقريبا » فى نصيبين بعد أن استبقاهم برصوما ، وحبب إليهم العيش فيها ، وطلب منهم أن يفتتحوا مدرسه (٤) نسطورية يستعيضون بها عن مدرسة الرها (٥) .

---

(1) Oleary ; How Greek science passed to the Arabs P. 57.

(2) Oleary : Arabia before Muhammad P 134.

(٣) يرى هذا الرأى أدى شير فى كتابه مدرسة نصيبين ص ١١ وفى تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٣٨ .

— غير أن أوليرى يذهب إلى أنه هاجر إلى نصيبين مع برصوما .

— ويتفق معه فى ذلك الدكتور مراد كامل فى « تاريخ الأدب السريانى » ص ١١٩ .

(٤) أدى شير مدرسة نصيبين ص ١١ .

(٥) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٣٨ .

وهكذا بعثت مدرسة الرها من جديد ، وأخذت تعمل على نشر التعاليم النسطورية فى الجو الفارسى .

ولقد قام برصوما بجهد كبير فى الفترة التى بين (٤٥٧ - ٤٨٤ م) ليحقق ذلك . يقـــول المسعودى (إن مقالة نسطورس كانت درست ، فأحياها برصوما مطران نصيبين ، ودعا إليها المشارقة من النصارى ، فدانوا بها » . (١)

ولقد وكل برصوما مهمة الإشراف على المدرسة لنرساى الذى كان ذا أثر ملحوظ فى كثير من تلاميذه . يقـول عنه أ . س . مرمرجى الدومينيكى « إنه كان عالما كبيرا ومعلما جليلا » (٢) . ويبدو أن شهرة نرساى لم تنحصر فى نطاق مهنة التدريس ، وإنما تعدت ذلك إلى مجال الأدب والفن . يقـول الدكتور مراد كامل « إن أصحاب نرسـاى من النسـاطرة الذين تذوقوا شعره ، وأعجبوا به ، كانوا يلقبونه قيثارة روح القدس » (٣) .

وقد ولى أمر المدرسة اليشـاع برقوزباى بعد نرسـاى ، وكان ممن هاجروا من الرها أيضا ، وقـد ظل يشرف عليها مدة سبع سنوات ، وكان نشـاطه الأدبى متعـــدد النواحى ، يقـول أدى شير إنه « وضع تأليفات شتى ، وكتبا ضد المجوس ، وضد الهراطقة ، وفسر كل الكتاب

---

(١) المسعودى : التنبيه والأشراف ص١٢٩

(٢) مجلة الكتاب عدد ديسمبر سنة ١٩٤٨ معاهد العلم عند الرومان واليونان والسريان ص ٦٧٧

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص١١٧

المقدس » (١).

ثم خلفه إبراهام ويقال إنه « زاد فى مبنى المدرسة ، أما عن أعماله الأدبية ، فله شروح على بعض أسفار العهد القديم ، وأجوبة فى الرد على بعض المسائل اللاهوتية » (٢) . وجاء من بعده يشوع يب ، وكانت مدة إدارته للمدرسة من « ٥٦٩ م إلى ٥٧١ م »(٣) . ثم حنانا الحذيتى، وقد بقى لنا من كتاباته لوئح مدرسة نصيبين التى وضعها ٥٩٠ م (٤) ، وقد حاول أن يعلم الطلاب صورة معدلة من المذهب النسطورى (٥) ، فأحدث بذلك إنقساما بين معلمى المدرسة ، وساءت أحوالها .

ويرجع النجاح الذى حققته مدرسة نصيبين إلى النظام الحسن الذى سارت عليه ، فلقد « نظم لها برصوما لائحة لمواد الدروس يجرى عليها المعلمون والتلاميذ » . (٦) كذلك كان لها قوانين تضبط حياة التلاميذ فيها ، فنجدهم قد « التزموا بيمين على العزوبة ، والإقامة الدائمة ، ومراعاة القوانين والاجتهاد .... وهذه الأيمان الرهبانية فرضت عليهم مدة إقامتهم فى المدرسة فحسب » . (٧)

---

(١) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ١٤
(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٥٣
(٣) المرجع السابق ص ١٥٨
(٤) المرجع السابق ص ١٥٩
(٥) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٨
(٦) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ ص١٣٨
(٧) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٨

وكانت قوانين المدرســـة تسمى التلاميذ إخوة « وكان عليهم أن يسيروا سيرة صالحة لا عيب فيها . وكان لهم زى خاص ، وكل من كان ينقطع عن الدروس والكتابة ، ولا يحضر ساعة التدريس والألحان الطقسية ، كان يوبخ توبيخا شديدا . »(١)

وكان رئيس المدرسة يسمى الربان ، وقد كان هـذا أيضـا لقب الملافنة أو المعلمين أو الدكاترة ، وكان بنوع خاص لقب المفسر للكتب المقدسة »(٢) ولم يـكن يقوم بهذا العمل أحـد سوى الرئيس : لذلك كان يسمى المفسر أيضا .

وكان من وظيفة الرئيس أن يتسلم دخل المدرسة ، وينفق عليها ، ولم يكن ينتخب لهذا المنصب إلا من كان مستقيما ، مقتدرا على إدارة أمور المدرسة ، منصفا بين الإخوة بدون محاباة .(٣)

ثم يأتى بعد الرئيس المقرىء والمهجىء ، وكان المقرىء يعـلم صناعة النحو ، بينما كان المهجىء يعلم التهجئة والقراءة الفصيحة للمبتدئين ، ثم يلى هؤلاء الكاتب ، وكان يعلم التلاميذ الخط .

ولقد تلاقت فى نصيبين الثقافتان اليونانية والسريانية ، وتعاونتا معا فى شرح التعاليم المسيحية ، وصبغها بلون خاص ، ذلك لأن الثقافة التى

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية حـ٢ ص٣١

(٢) أ. س. مرمرجى الدومينيكى : معاهد العلم عند الرومان واليونان والسريان بمجلة الكتاب عدد ديسمبر ١٩٤٨ ص ٦٧٧

(٣) أدى شير : مدرسة نصيبين ص ٥٥

انتقلت من الرها على أيدى برصوما ومن تبعه من أهلها ، كانت مكونة (١) فى معظمها من أعمال أرسطو فى المنطق مع كتاب ايساغوجى لفورفوريوس ، وقد بقى هذا المنطق دائما مقدمة ضرورية للدراسات اللاهوتية فى كل التربية النسطورية . ولم يقف الأمر عند حد هذه المعارف ، وإنما حمل هؤلاء الأساتذة معهم طب اليونان والثقافة المسيحية ، ولعل هذا هو ما حمل بعض الباحثين من المحدثين إلى القول بأنه فى نصيبين كانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية . (٢)

ولكن يبدو أن العناية كلها كانت موجهة إلى خدمة اللاهوت المسيحى فقط تحقيقا للغرض الذى قامت المدرسة من أجله .

ولعل مما يشير إلى ذلك أن نظم المدرسة فى عام ٥٩٠ كانت تقضى بألا تقرأ الكتب المقدسة مع الكتب التى تعالج أمور الدنيا فى مكان واحد (٣) .

ولقد ظلت المدرسة قائمة حتى أيام الفتح الإسلامى ، ولكن يبدو أنها لم يكن لها أى تأثير مباشر فى العرب ، وربما كان ذلك لأنها كانت لاهوتية محضة ، ولو أنها كانت مسئولة بطريق غير مباشر عن تعريف المدارس النسطورية الأخرى فى جنديسابور وسيلوقيا بمنطق أرسطو ، أما الأثر الذى لحق العرب فقد جاءهم بصفة رئيسية عبر جنديسابور كما سنرى .

---

(1) Olesry : How *Greek* science passed to the Arabs. P.61.

(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ٢ ص٢١

(٣) دي بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٨٩

البَابُ الثَالِثُ

جهود السريان فى الحضارة العربية قبل الإسلام

جهود السريان فى الحضارة العربية قبل الإسلام

لم يعط العرب تاريخهم فى الجاهلية الأهمية التى يستحقها ، وقد تكون (١) علة ذلك أنهم حين أسلموا أرادوا أن يمحوا مفاخر الجاهلية ليقيموا مجد الإسلام مكانها ، وأن اعتمادهم على المشافهة فى نقل الأخبار ، وتأخر عصر التدوين قد فتح كثيرا من الثغرات للتزيد فى الأخبار ، كذلك كان للتراث الثقافى الذى دخل البيئة الإسلامية مع من أسلم من اليهود والمجوس أثره فى إشاعة المبالغات فى أخبار العرب قبل الإسلام .

ولقد تنبه المؤرخون إلى هذا الأمر . هذا ابن خلدون يقول « كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط » (٢) .

ويستطرد ابن خلدون فيضرب الأمثلة التى تؤيد هذه الدعوى ، ثم يعقب على من زعم أن التبابعة ملوك اليمن كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب بقوله « إن هذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريقة فى الوهم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة » (٣) .

---

(١) انظر جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٩ ، ١٠ ط مصطفى محمد .

(٣) المرجع السابق ص ١٢ .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإنه فى وسعنا أن نتعرف على مدى الأثر السريانى فى الجانب الحضارى من حياة العرب قبل الإسلام .

فى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد قامت دولة الأنباط العربية ،(١) وامتدت من « خليج العقبة إلى دمشق » (٢) ، وشملت معظم شمالى جزيرة العرب ، وكانت عاصمتها سلع أو البتراء .

ولقد كان العرب فى البتراء « يستعملون الآرامية فى الكتابة مع أنهم كانوا يتكلمون العربية » (٣) . يقول بروكلمان « إن الكتابات المختلفة التى نقشت على قبور سلع تدل على أن الأنباط قد اصطنعوا فى هذه النقوش اللغة الآرامية التى كانت لغتهم الرسمية حتى فى ظل الأخمينيين » (٤) .

ويرجع جويدى هذا الأمر إلى أن « الأحرف الهجائية لم تكن قد

---

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٨
— اقرن ذلك بما أورده المسعودى فى التنبيه والإشراف ص ٦٨، ١٥٠، ١٥٦ ، ١٦٨ .
— واقرنه بما ذكره البيرونى فى الآثار الباقية ص ٥٩
— وراجع ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ ص ١٣٥

(2) Oleary, Arabia before Muhammad P. 82

(3) Oleary : Arabia before Muhammad P. 137
— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ١ ٤١٧
— انظر ايضا خليل يحى نامى : أصول الخط العربى ص ٧

(٤) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ٢٠

استنبطت بعد عند العرب ، (١) فلما ظهرت الحاجه إلى الكتابة عند عرب الشمال ، كان من الطبيعى إذن أن يأخذوا « أبجديتهم التى كتب بها القرآن من الآرامية التى استعملها الأنباط » (٢) .

ولقد ذكر خليل يحى نامى أن الكتابة العربية هى عبارة عن تطور الكتابة النبطية ، وأنها تحمل نفس مميزاتها وسماتها . (٣) .

ولقد ظلت دولة الأنباط قائمة حتى « قضى عليها الإمبراطور الرومانى تراجان سنة ١٠٦ ميلادية ، وأقام مكانها إقليما رومانيا عربيا » (٤).

وفى تدمر نجد أن موقعها فى أطراف البادية التى تفصل الشام عن العراق مكنها من أن تعمل فى التجارة ، وتربح أموالا طائلة . « وكانت

---

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغه عندالعرب ص٨٨
— راجع الدكتور فيليب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٤٢٧

(٢) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج١ ص ١٨٣
— انظر خليل يحي نامى : أصل الخط العربى من ص ٢٥ — ٨٨
— انظر أيضا الدكتور حسن أحمد محمود : حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .
— اقرن ذلك بما ذكره المسعودى من أن عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح وولده أول من كتب بالعربية ، ووضع حروف المعجم وهى حروف أ ، ب ، ت ، ث ، وهى التسعة والعشرون حرفا .

(٣) خليل يحي نامى : أصل الخط العربى ص ١٠١ .

(4) Oleary : Arabia before Muhammad .P 82.

صنائع اليونان وفنونهم قد دخلت أبواب تدمر « وشيد فيها من الهياكل والمنازل والملاعب والقبور ما يستدعى العجب العجاب ، ومع ذلك لم تزل تدمر تحفظ سننها الوطنية ، وعوائدها الخصوصية ، وبقيت آدابها ولغتها آرامية » (١) ولكن على الرغم من أن هؤلاء الآراميين المتأثرين بالحضارة الإغريقية كانوا يؤلفون أغلبية السكان فى تدمر إلا أن السيادة فيها كانت للعرب ، (٢) لذا فإن ما ارتقت اليه تدمر « يبين ذرى الثقافة التى يستطيع العرب من أهل البادية أن يبلغوها إذا ما تسنت لهم المهيئات » (٣)

ولم تنحصر فعالية السريان فى الحضارة النبطية والتدمرية فقط ، وإنما اتضحت آثارهم بشكل ملموس فى حضارة الغساسنة والمناذرة ، وقد خرج هؤلاء العرب من اليمن (٤) ، وشاءت لهم الظروف أن يستقروا

---

(١) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ١ ص ١٧٥ .
— انظر جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام من ص ٩٨ إلى ١٠٥ .
(٢) بروكلمان : العرب والإمبراطورية العربية ص ٢١ .
(٣) الدكتور أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج١ص٤٠
(٤) انظر فى أصل موطنهم ، وتفاصيل خروجهم ، واندفاعهم فى اختيار الأماكن التى توافق قدراتهم وأمزجتهم .
— ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ١٣ ، ١٤
— المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٣٤٦
— اليعقوبى : ج ١ ص ٢٣٦
— أبو الفداء : ج ١ ص ٧٢ — ٧٦
— الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٦٨ ، ٦٠
— الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ص ٤١

حيث أقاموا ، ويكاد المؤرخون يتفقون على أن الغسانيين ينسبون إلى ماء غسان (١) ، ولكنهم يختلفون فى تحديد مكانه ، فيرى بعضهم أنه باليمن (٢) بينما يرى الآخرون أنه بالشام (٣) .

وقد ظلت دولة الغساسنة مدة أربعمائة سنة تقريبا منذ القرن الثالث الميلادى حتى ظهور الإسلام (٤) .

ولقد كانت عاصمة الغساسنة بصرى (٥) ، وأتاح لهم موقع إمارتهم أن يكونوا ورثة للحضارات التى شهدتها منطقة الشام ، كما قدر لهم

---

(١) انظر المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٢٩٧
— القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٩

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ ص ٩
— الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٧١
— المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٤٧
— محمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ٦١

(٣) أبو الفدا : جـ ١ ص ٧٦
— الدكتور حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص ٤١
— الدكتور أحمد الحوفى : الحياة العربية فى الشعر الجاهلى ص ٧٧

(٤) راجع فى ذلك تاريخ أبى الفدا جـ١ ص ٧٦ ، وقارنه بما جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٣ ص ٣٨٨ ، والعرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ٢٠٨ — ٢١١

(٥) أحيانا يفهم من قول الشعراء أن جولان أو الجابيه عاصمتهم ، وأحيانا يذكرون جلق بالقرب من دمشق على أنها هى العاصمة . أحمد أمين فجر الإسلام ص ٢١ ، ٢

أن يتلقوا تأثير السريان عن قرب ، إذ نقل إليهم اليعاقبة (١) الثقافة اليونانية ، ونشروها بينهم . ولقد بنى ملكهم جفنة بن عمرو بالشام عدة مصانع ، كما بنى ابنه عمرو بن جفنة عدة أديرة ، منها دير حالى ، ودير أيوب ، كذلك شيدوا القصور والقلاع (٢) ، كما كثرت لديهم البيع والكنائس (٣) .

والواقع ، أن الغساسنة قد نقلوا كأسلافهم الأنباط بعض عناصر أساسية فى الحضارة السورية إلى أقربائهم الأصليين فى الجزيرة العربية ، وخاصة الحجاز مهد الإسلام فى المستقبل .... ولقد نقلوا أيضا بعض الأفكار المسيحية التى كان لها تأثيرها مع بعض أفكار أخرى على الإسلام ، وهكذا زودت الحضارة السورية الإسلام ببعض العناصر المبدعة (٤) .

ولقد اصطنع الفرس إمارة الحيرة ليكفوا بها من يليها من بوادى العرب (٥) ، وليستعينوا بأبنائها على

= ـ يذكر فيليب حتى أن بصرى كانت العاصمة الدينية ، أما العاصمة السياسية فكانت الجابية فى منطقة الجولان . كما كانت أيضا بعض الزمن فى جلق .

« تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٤٤٨ ، ٤٤٩

(١) راجع فى ذلك الأستاذ حامد عبد القادر : الإسلام — ظهوره وانتشاره فى العالم — ص٥٦ .

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٤ ص٩٥

(٣) الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص٤٥ .

(٤) الدكتور فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ١ ص ٤٢٥

(٥) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ١٥٨ .

ـ انظر شاهدا على ذلك فى قصة تولية النعمان بن المنذر . الأغانى جـ٢ص٢٢

ـ انظر تاريخ اليعقوبى جـ١ ص ٢٤٢ =

حراسة (١) قوافلهم التجارية التي كانت تتغلغل في الجـــزيرة العربية ، ولاسيما إلى سوق عكاظ .

ولفظ الحيرة (٢) سرياني معناه الحصن أو المعقل حـوله الخندق . وكان قيامها سنة ٢٤١ م (٣) . وقد سكنتها ثلاث طوائف ، هي تنوخ والعبـاد والأحلاف ، وكانت المسيحية قد انتشرت في الحــيرة منـذ الأجيال (٤) الأولى ، واعتنقها العباديون (٥) وهم قبائل شتى من بطون العرب .

ويبدو أن العنصر العربي في الحيرة كان يمثـــل « الأرستقـراطية الحـاكمة » ، أما جمـلة الأهلين فقـد كانت من الآراميين السريانيين الذين كانوا مسيحيين من قبل ، ويبدو أن هؤلاء العرب الذين تقبلوا المسيحية

= ـ الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج١ ص٣٤
ـ جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص٩٠

(١) الدكتور أحمد الحوفي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٥٠

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٣
ـ اقرن ذلك بما جاء في معجم ما استعجم ص٣٠٢، وفي مختصر كتاب البلدان ص ١٨١ حيث يذهب ابن الفقيه إلى أن « تبعا لما سار إلى موضع الحيرة أخطأ الطريق ، وتحير هو وأصحابه ، فسميت الحيرة » .

(٣) الطبري : ج٢ ص٣٧

(٤) انظر أدي شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ ص٢٠٧ تجـــد ثبتا بأسماء بعض أساقفتها الأوائل .

(٥) أدي شير : تاريخ كلدو وآثور ج٢ ص ٢١٩
ـ جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

اعتنقوا المذهب النسطوري (١) .

ولقد دافع الفرس عن النسطرة ، ومدوا لها يد المساعدة بما أمدها بمزيد من القوة .

يقول أوليرى (٢) « إن النساطرة كانوا فى جنوب العراق بالقرب من الحيرة أقوياء بوجه خاص ، وعندما جاء الفتح الإسلامى كانت الحيرة كلها على وجه التقريب مسيحية نسطورية ، ولم تكن ثمة ترجمة عربية للكتاب المقدس ، أو للطقوس الكنائسية قد وضعت لأن اللغة العربية لم تكن قد أصبحت بعد لغة كتابة وأدب ، ولقد استعملت الآرامية المسيحية التى عرفت بالسريانية فى الأغراض الأكليريكية ، وقد حدث هذا تماما عندما استعمل عرب البتراء الآرامية فى الكتابة مع أنهم كانوا يتكلمون العربية ، ولقد ترتب على هذا أن عرب الحيرة كانوا يستعملون لغتين ، وأنه قد وصل إليهم قدر عظيم من العلم والفلسفة واللاهوت الهلينى عبر اللغة السريانية » .

ويمضى أوليرى فى بيان نتائج سيادة اللغة السريانية بين عرب الحيرة فيقول « لما أراد القرآن استعمال كلمات جديدة عند الحديث عن

---

(١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية إلى العرب ص٩٩

— راجع بروكلمان (ولقد اعتنق أتباع اللخميين المذهب النسطورى المسيحى فترة من الزمان فى حين تعلقوا هم أنفسهم تعلقا شديدا بمعتقداتهم الوثنية ، فلم يخرج عليها أحد منهم غير النعمان الثالث (٥٨٠ — ٦٠٢ م) الذى اعتنق النصرانية ظاهرا على الأقل « العرب والامبراطورية العربية ص٢٤

(٢) انظر أيضا حامد عبد القادر : الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم ص٥٢، ٥٣

الأفكار اللاهوتية والفلسفية التى لم تكن معروفة فى اللغة العربية ، غالبا ما استعمل كلمات مستعارة من الآرامية ، وفى وسعنا أن نفترض أن مثل هذه الكلمات قد دخلت القاموس العربي من وسط الحيرة وعلى أيدى المعلمين النسطوريين ، (١)

والحق أن اللغة العربية حتى عهد امرىء القيس بن عمرو فى أوائل القرن الرابع الميلادى لم تكن قد تخلصت مما علق بها من بقايا اللغة الارامية ، والدليل على ذلك ما لوحظ فى الأثر الذى حمل اسمه وتاريخ وفاته ، إذ عثر بين كلماته على ألفاظ آرامية .

ولقد قامت فى الحيرة بيع كثيرة وأديرة (٢) ، من ذلك دير هند (٣) الكبرى الذى يعرف بدير هند الأرقم ، ودير هند الصغرى ، ودير علقمة (٤) ، ودير حنظلة بن عبد المسيح ، ودير مارة مريم ، ودير

---

(1) Oleary, Arabia before Muhammad P.136

(٢) المسعودى : مروج الذهب ﺣ١ ص ٢٩٧

(٣) انظر البكرى : معجم ما استعجم ٣٦٤

— معجم البلدان ﺣ٢ ص ٧٠٩

— أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ﺣ٢ ص ٢٠٩

— الذيل رقم ١/ لكوركيس عواد فى كتاب الديارات للشابشتى

— ممن دفن فى هذا الدير يشوع يب رئيس مدرسة نصيبين (٥٦٩ — ٥٧١م) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٥٨

(٤) ياقوت : معجم البلدان ﺣ٢ ص ٦٨١

— البكرى : معجم ما استعجم ﺣ١ ص ٣٦١

— ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ﺣ١ ص ٣٢٧

قرة ، ودير ابن مزعوق ، ودير بنى مرينا ، ودير اللج .

ويهمنا هنا أن نذكر أن هذه البيع والأديرة قامت بدور العوامل الفعالة فى تقوية النفوذ السريانى وهو ينفذ على مهل إلى الحياة العربية فيترك عليها طابعه .

لقد مهدت السبيل أمـــام اللغة العربية لـكى تصبح خالصة ، وتصلح لأن تكـون لغة كتابة ، ذلك لأن الذين بنوا هـذه الأديرة سجلوا تاريخها بهذه اللغة .

وجد فى صدر هيكل دير هند الكبرى « زوجة المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء » « ٥١٥ — ٥٦٣م » أثر يقول « بنت هـذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر ، الملكة بنت الأملاك ، وأم الملك عمرو بن المنذر ، أمـــة المسيح ، وأم عبده ، وابنة عبده ، فى زمن ملك الأملاك خسرو أنوشروان وفى زمن إفرائيم الأسقف ، فالإله الذى بنت له هـــذا البيت ، يغفر خطيئتها ، ويترحم عليها وعلى ولدها ، ويقبل بها وبقومها إلى إقامة الحـــق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »(١) .

ووجد فى صدر دير حنظلة أثر آخر مكتوب بالرصاص فى ساج محفور يقول « بنى هذا الهيكل المقدس محبة لولاية الحق والأمانة حنظلة

(١) البكرى : معجم ما استعجم ص ٢٦٤
— ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٧٠٩
— وردت فى الديارات «أمانة» . انظر الذيل رقم ١٨ كوركيس عواد فى كتاب الديارات للشابشتى
— انظر أدى شير : تاريخ كلدو وآثور جـ٢ ص ٢٠٩

ابن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه ، وكما يذكر أولياء بالعصمة يكون ذكر الخاطىء حنظلة (١) » .

ولقد ساعد شيوع التدوين فى الحيرة على وضوح تاريخها يقول

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم جـ١ ص٣٦١

— يدين العرب للحيرة بمعرفة فنها فى الكتابة ، ذلك الفن الذى انتقل من الحيرة والأنبار إلى الحجاز بعد قرن ، بعد أن أنشأ الخليفة عمر مدينة الكوفة وأطلق اسم الكوفة على هذا الفن . خودا بخش . الحضارة الإسلامية ص ١٤٨ .

— اقرن ذلك بقول إقليمس يوسف داود « إن الزمان الذى فيه بدأ العرب أن يكتبوا لم يعلم بتأكيد ، ولكن الكتابات الكثيرة المنقوشة على الأحجار التى توجد فى بلاط حران والنواحى الشمالية من جزيرة العرب اللواتى أهاليهن جميعا كانوا عربا ، والتى هى مكتوبة باللسان السريانى والقلم السريانى ، وذلك منذ نحو القرن الأول بعد المسيح إلى نحو القرن الخامس بعده ، تشهد لنا أن العرب الأوائل لم يكونوا يكتبون بلغتهم العربية الآثار التى كانو يريدون بقاءها لكن باللغة السريانية » اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ص ١٤٤ ، ١٤٥

— راجع قول ف بارتولد « هناك كتب بقيت من القرن السادس تدل على أن اللغة العربية أيضا استعملت لغة الكنيسة ، ولكن لم يثبت إلى الآن وجود أدب نصرانى عربى فى العصور التى قبل الإسلام » « تاريخ الحضارة الإسلامية » ص ٤٢

— يرى خليل يحيى نامى أن تطور الخط النبطى وانتقاله إلى الكتابة العربية لم يتم فى الحيرة لأن الحيرة كانت قبل الإسلام مثقفة بالثقافة السريانية لأنها كانت تدين بالنصرانية ، وكان الخط السريانى هو الخط الرسمى فى تلك الأنحاء لأنه كان ترجمان المسيحيين وقلمهم الدينى فى ذلك الزمان » أصل الخط العربى ص ١٠٢ ، ١٠٣

الطبرى (١) « وكان أمر آل نصر بن ربيعة ، ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمالهم على ثغر العرب الذين هم ببداية العراق عند أهل الحيرة متبعا لما كان مثبتا عندهم فى كنائسهم وأشعارهم ، وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبى أنه قال : إنى كنت استخرج أخبار العرب ، وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها » .

ويقول بروكلمان (٢) « وكان محمد بن السائب يعنى عناية خاصة بأنساب القبائل العربية ، وقد حاول أن يحدد سنى حكم اللخميين فى الحيرة من النقوش التى على قبورهم ، والتى كانت لاتزال مصونة لعهده » .

ومن الباحثين (٣) من لا يسلم بما يذكره الطبرى ، وحجته أن رواية ابن الكلبى لا يعتمد عليها لأنه متهم فيما يرويه .

ولقد كان للنفوذ الذى تمتع به أهل الحيرة بين العرب دوره فى التمهيد للتأثير النسطورى ، ويصور لنا الجاحظ هذا النفوذ فى قوله (٤) « جاء الإسلام ، وملوك العرب رجلان ، غسانى ولخمى ، وهما نصرانيان ، وقد كانت العرب تدين لهما ، وتؤدى الإتاوة إليهما » .

---

(١) الطبرى : حـ ٢ ص ٣٧

(٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية حـ ٢ الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها ص ٢٩

(٣) الدكتور شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ١٦

(٤) الجاحظ : المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٥

ويذكر أوليرى أننا إذا ما سلمنا بأن (١) « عرب الحيرة كانوا من صميم العرب ، وليسوا مجرد فرع منهم ، وأنهم فى القرن السادس قد تمت لهم السيادة الاسمية عليهم جميعا ، فإننا نستطيع أن نقول إن التأثير (٢) النسطورى قد نفذ إلى العرب كلهم ، هذا فضلا عن أن الإرساليات النسطورية قد تغلغلت فى الجزيرة العربية ، كذلك كان هنـــاك طريق تجارى ربط الحيرة بنجران ، وقد أكد ابن هشام (٣) أن كنيسة نجران المسيحية أسسهـا سورى يسمى فيميون ، ولعـله كان أحـــد المبشـرين النسطوريين سلك هذا الطريق التجارى إلى جنوب الجزيرة العربية » .

وعلى هذا فإن فى وسعنا أن « نعتبر نجران مستعمرة منعزلة للكنيسة السورية (٤) » .

---

(1) Oleary : Arabia before Muhammad P. 137.

(٢) راجع قول الجاحظ « وغلبت النصرانية على ملوك العرب وقبائلها . » المختار من كتاب الرد على النصارى ص١٥

(٣) يقول ابن هشام « كان أهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم . . . فقال لهم فيميون ، إنما انتم فى باطل . . . ثم دعا الله عليها . . . فجعفتها من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه الســـلام » السيره النبوية حـ ١ ص ٣٣ ، ٣٤ .

— انظر ابن خلدون : ديوان العبر حـ٢ ص٥٩ .

— انظر الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى جـ١ ص٧٦ .

(4) Oleary : Arabia before Muhammad P. 143

وقد أوذى مسيحيو نجران ، واضطهدهم (١) ذو نواس الذى كان قد تهود سنة ٥٣٤ ميلادية ، فاستعانوا بقيصر الروم (٢) ، فكتب إلى ملك الحبشة يأمره بنصرهم ، فاستولى هذا على اليمن ، وتولى الأمر فيها إبرهة ، وبنى القليس (٣) وهى كنيسة ضخمة « ليصرف إليها حج العرب » (٤) غير أن هذه الكنيسة لم تأخذ ما كان يرجى لها من مكانة فى نفوس العرب (٥)

ولقد كان الأحباش مسيحيين على المذهب اليعقوبى ، ويتبعون الإسكندرية ، ولذا « يبدو مؤكدا أن مسيحية نجران كانت أيضا يعقوبية ، ولكونها جاءت فى بداية الأمر من الحيرة ، فيجب أن نتوقع عناصر نسطورية أيضا بالمثل .

---

(١) انظر قول الله تعالى وقتل أصحاب الأخدود... ، سورة البروج : الآية ٤

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ح١ ص٣٨ .

— انظر الدينورى : الأخبار الطوال ص ٦٣

— انظر ابن خلدون : ديوان العبر ح٢ ص٦٠

(٣) انظر وصفها عند أبى الفرج الأصفهانى : الأغانى ح١٠ ص١٣٥

— البكرى : معجم ما استعجم ح١ ص ٣٦٧

— ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ح١ ص٣٥٩

— راجع قصيدة الأعشى رقم٢٢ ص١٧٣ من ديوان الأعشى شرح الدكتور محمد حسين .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ح١ ص ٤٤

— انظر ابن الأثير : الكامل ح١ ص١٧٨

— انظر الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص١٢٧

(٥) راجع ما يذكره الدينورى فى هذا الصدد : الأخبار الطوال ص٦٤

— انظر ابن خلدون : ديوان العبر ح٢ ص٦١

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أنه « كان لحمير لغة تختلف عن لغة سائر العرب فى إصطلاحاتها وأكثر ألفاظها ، ولاسيما كتاباتها ، فإن خطهم كان يعرف بالقلم المسند ، وهو مخصوص بهم ، وكانت أقرب لغة عربية إلى السريانية على ما يظهر من آثار كتاباتهم بالمسند (١) .

ولقد انتقل الخط الحميرى إلى الحيرة ، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش ، يقول ابن خلدون فيما تحدث به عن الكتابة « إن القول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ، ولقنتها الحيرة من التبابعة وحمير هو الأليق من الأقوال » . (٢) .

ولقد كان من الطبيعى أن تتلون الحياة الفكرية فى هذه البيئات التى غلب عليها النفوذ السريانى بلون خاص ، لذا ليس غريبا أن نجد آثارا للتعاليم المسيحية فى الفكر العربى بخاصة فيما يتلاءم مع ما كانت عليه العقلية العربية .

يقول ابن عبد ربه (٣) « إن العرب ما كان لها قط نتيجة فى صناعة ، ولا أثر فى فلسفة إلا ما كان من الشعر »

ويقول حاجى خليفة (٤) « وعلمهم الذى كانوا يفتخرون به علم لسانهم ،

---

(١) دائرة معارف البستانى : المجلد السابع : مادة حمير ص ٢٤٣

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص٤١٨

— ناقش خليل يحى نامى هذا الرأى بإفاضة فى مجلة كلية الآداب : الجامعة المصرية الجزء الأول سنة ١٩٣٥ ص ٣ ، ٤

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٥

(٤) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٢

ونظم الأشعار ، وتأليف الخطب ، وعلم الأخبار ، ومعرفة السير ».

وإذا كانت هذه هى مبلغ ثقافات العرب قبل الإسلام ، فإن التأثير المسيحى الذى حمله السريان معهم يتضح فى شعر الشعـــراء ، ومواعظ الرهبان ، وفى الدور الذى مهد السبيل أمام الدعوة الإسلامية .

وقـد ذكر نيكلسون الدور الذى قامت به هـذه الأديان فى التمهيد للاسـلام ، فعرض تأثير الأديان التى تلاقت فى الجزيرة العربية ، والتى ترجع أصولها إلى كتب سماوية فى الشعراء أمثال زهير الذى عرض للكلام عن اليوم الآخر والحساب ، والذى ركز المسئولية فيه حـول الفـــرد لا القبيلة على عكس ما كان مقررا بين العرب ، وشـائعا بين قبائلهم ، ثم قال (١) « إن هذا كله يساعدنا على أن ننتهى إلى هذه النتيجة ، وهى أن الدين والحضارة فى أثنـاء القرن السادس الميلادى ، كانا يحـــدثان أثرهما فى الجزيرة العربية تاركين ما كان عليه عامة العرب الأوثان ، وممهدين الطريق لظهور الإسلام » .

ويرى بركلمان أن من العرب من اعتقـد قبـل الإسـلام « بإله هو خالق الـكون ، هذا الإله هو « الله » الذى لم ينقل العرب فكرته عن اليهود والنصارى كما يظن كثير من الباحثين (٢) ».

---

(1) Nichalson : A literary History of the Arabs P. 140 London 1907.

(٢) بروكلمان : العـرب والإمبراطورية العربية : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٧ .

— راجع قول الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض =

ولقد كان هؤلاء مجموعة مستنيرة، جرت على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

يقول الآلوسى « إن الموحدين هم من استبصر ببصيرته ، فاعترف بوجود الله وتوحيده ، ولم يدرك دعوة محمد (ص) ، بل بقى على أصل فطرته ، ونظر بعين بصيرته ، فلم يغير ولم يبدل ، وهم البقايا ممن كان على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام »(١).

والواقع أن العرب كانوا على دين إبراهيم ، ثم غير عمرو بن لحى(٢)

= ليقولن الله» سورة لقمان: الآية ٢٥.

— « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » سورة الزخرف : الآية ٩ .

— وقد أكد العرب أيمانهم بالحلف بالله : راجع المفضليات ص ٦٩ ، ٧٣ ط . السندوبى .

(١) الآلوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب حـ٢ ص١٩٦

(٢) انظر تاريخ أبى الفدا حـ١ ص٨٨

— راجع قول الرسول (ص) فى شأنه « أول من بحر البحيرة ... » ابن الكلبى الأصنام ص٥٨

— اقرن هذا الرأى بقول ابن الكلبى « كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها . وصبابة بالحرم ، وحبا له ... ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، فاستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره . فعبدوا الأوثان » الأصنام ص٦

هذا الدين وبدله ، وبعثهم على عبادة الأصنام التى جلبها (١) من الشام ، والتى صنعها لهم (٢) .

ولقد حدث ذلك قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة (٣) فى أيام سابور ابن أردشير ، ولا ريب أن ذلك كله يدل على أن عرب الشمال اتخذوا الأصنام فى عصور متأخرة ، وأنهم كانوا فى ذلك متأثرين بالوثنية اليونانية السريانية ، ويؤيد ذلك أن كلمة صنم مأخوذة من كلمة آرامية سريانية هى صيام » (٤) .

ولقد زاد عمرو بن لحى فى التلبية فقال « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك (٥) .

---

(١) اليعقوبى ج١ ص٢٩٥

— انظر سيرة ابن هشام ج١ ص ٧٩

— انظر المسعودى : مروج الذهب ج١ ص ٢٦٨

— ذكر البيرونى فى الآثار الباقية أن المقصود مدينة البلقاء بالشام ص٣٤ .

— وتبعه أبو الفدا فى تاريخه ج١ ص٨٠

(٢) يرى البيرونى أن عمرو عمل للعرب صنمين ، هما أساف ونائلة . الآثار الباقية ص ٣٤

(٣) ابن الكلبي : الأصنام ص٧

— يرى خودا بخش أن بداية ظهور إلحاد العرب مازالت سرا غامضا ، الحضارة الإسلامية ص ٢٦

(٤) حامد عبد القادر : الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم ص٢٨

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ج٦ ص٣٠

— انظر اليعقوبى ج١ ص٢٩٦

ولقد شاعت عبادة الأصنام بين العرب لأسباب كثيرة ، غير أنها لم تستطع أن تزيل فكرة وجود إله واحد خلق هذا الكون.

يقول صاعد الأندلسى (١) « وجميع عبدة الأوثان من العرب موحدة لله تعالى ، وإنما كانت عبادتهم لها ضربا من التدين بدين الصابئة فى تعظيم الكواكب ، والأصنام الممثلة بها فى الهياكل ، لا على ما يعتقده الجهال فى ديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان هى الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأى صاحب فكرة ، ولا دان به صاحب عقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، ومع ذلك بقيت هناك قلة موحدة على دين إبراهيم عليه السلام ، ذكروا أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يجلس إلى الكعبة ، ويقول « يامعشر قريش والذى نفس زيد بيده ، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول « اللهم إنى لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك ، ولكنى لا أعلم » ثم يسجد على راحته .

ولقد وقفت هذه النفسية القلقة حائرة أمام عبادة الإصنام والتعدد الذى تقوم عليه.

أربا واحد أم ألف رب　　　أدين إذا تقسمت الأمور (٢)

---

(١) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٩
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٢٤١
— انظر تاريخ بن عساكر ج٦ ص٣٣
— أورد هذه الأبيات لويس شيخو فى كتابه «شعراء النصرانية» مع اختلاف فى بعض الألفاظ وتغيير فى التركيب .

عزلت اللات والعزى جميعا　　كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها　　ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولا هبلا أدين وكان ربا　　لنا فى الدهر إذ حلمى يسير

ولقد « أدى تعدد الآلهة إلى ضعف قوة كل من هذه الآلهة المتعددة » (١) وكان من العرب من أدرك (٢) عجز الأصنام وضعفها ، بل إن منهم من كان يأكلها عندما يستشعر حاجته إلى الطعام .

نخلص من ذلك إلى أن عبادة الأصنام لم تستطع أن تملأ وجدان العرب الدينى مما جعلهم يعانون حالة من القلق ، « وكان وجود المسيحية من العوامل التى أبرزت هذه الحالة » وأدت إلى تحويل أفكارهم من الوثنية إلى أفكار اسمى » (٣) .

ويبدو أن أفرادا ممن كانوا ينزعون إلى التوحيد قد اعتنقوا المسيحية ، فأمية بن أبى الصلت (٤) كان « قد نظر فى الكتب وقرأها ،

---

(١) خودا بخش : الحضارة الإسلامية ص ١٠
(٢) راجع قصة الأعرابى الذى رمى صنما يقال له سعد بحجر لأنه فرق إبله عندما أدناها منه ليلتمس بركته .　ابن الكلبى : الأصنام ص ٣٧
— انظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٨٣
— البيرونى : الآثار الباقية فى القرون الخالية ص ٢١٠
(٣) خودا بخش : الحضارة الإسلامية ص ٣٠
(٤) انظر طرفا من أخباره فى تاريخ ابن عساكر ج٢ ص١١٥ - ١١٩
— الأصفهانى : الأغانى ج٤ ص ١٢٩ ط . دار الكتب
— الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ج ٢ ص٢٥٣

ولبس المسوح تعبدا ، وكان ممن ذكروا إبراهيم وإسماعيل والحنيفة ، وحرم الخمر ، وشك فى الأديان »(١) .

وهو الذى يقول (٢)

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النـاس وسوى فوق السماء سريرا
شريفا ما ينـاله بصر العين ترى دونه الملائك صورا

ومن الشعراء الذين لونت المسيحية شعرهم عدى بن زيد ، وكان أهله نصارى نزلوا فى الجانب الشرقى من الحيرة ، وقد نال قسطا من التعليم هناك أهله لأن يكون من أفهم الناس بالفارسية ، وأفصحهم بالعربية ، وكان أول (٣) من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، وعلى الرغم من اعتناقه المسيحية ، فإنه حلف برب مكة ، كما حلف بالصليب حين سجنه النعمان .

سعى الأعداء لا يألون شرا على ورب مكة والصليب (٤)

ولم يقف أثر التعاليم المسيحية عند حد الشعراء المسيحيين وحدهم ،

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى ج ٣ ص ١٨٠ ط . ساسى
(٢) ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٤٣ .
— ابن عساكر : التاريخ الكبير ج٣ ص ١٢٣ مطبعة روضة الشام .
(٣) انظر الأغانى ج ٢ ص ١٨ ط. ساسى
(٤) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى ج ٢ ص ١١١ ط . دار الكتب
والرواية هنا مناسبة للمعنى، ولقد وردت فى طبعة ساسى «عليك» ج ٢ ص ٢٣ كذلك وردت فى شعراء النصرانية «عليك» ص ٤٥١

وإنما تعداهم إلى غيرهم ، فقد نزع النابغة إلى التدين، وكان الأعشى[1] يأتى العباديين نصارى الحيرة ، ويشترى منهم الخمر ، فأخذ عنهم مذهب القدرية ، كذلك حلف بمسوح الرهبان وبالكعبة .

فإنى وثوبى راهب اللج والتى بناها قصى والمضاض بن جرهم[2]
لئن جد أسباب العداوة بيننا لترتحلن منى على ظهـــر شيهم

والباحث لايكون مغاليا إذا ذكر أن الفوضى الدينية قد أدت إلى اضطراب أفكار العرب ، مما أثار فيهم اللهفة إلى النجاة .

وقد شاء الله أن يبعث الرسول مبشرا ونذيرا ، وداعيـــا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فأنشأ من القبائل المفككة أمة مسلمة .

وقد أخطأ بعض المفكرين فى رده قواعد الإسلام إلى أصول مختلفة من الأديان التى انتشرت قبله .

يقول ماكس فانتاجو « إن محمـدا أقام الإسلام دينـا موحـــدا ، به عناصر متنوعة من الأديان المحلية إلى جانب المزيج الذى اقتبسه من المسيحية واليهود » [3] .

ويقول خودابخش المؤرخ الهندى « ورأينـا أنه لا يضـير محمـــدا بصفته نبيا أن يقتبس آراء معاصريه . فليس هنـاك مصلح أو سياسى ، أو حاكم يمكنه أن يخلق نظما جديدة ، بل عليه أن يساير الظروف[4]»

(١) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى جـ ٨ ص ٧٩ ط. ساسى
(٢) ديوان الأعشى ص ١٢٥ المطبعة النموذجية
(٣) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٣٦ ، ٣٧
(٤) خودابخش : الحضارة العربية ص ٨

ولقد فات هؤلاء أنه إذا كان هناك شيء من اليهودية أو المسيحية جاء فى الإسلام ، فمرد ذلك أن هذه الديانات السماوية إنما تمثل التدرج الدينى ، ومراقب السمو فى العقيدة ، وهى فى قوانينها ، وفرائضها الملزمة ، إنما تمثل المنهج الدينى المتكامل الذى أخذ الله به عباده حتى يصل بهم إلى أعلى درجات الإيمان واليقين .

والباحث لا يريد أن يخوض فى جزئيات الشريعة أو تفاصيل الفقه ليثبت أنها إسلامية بحته ، فضلا عن أن ذلك أمر مقرر ، كما أن إدارة الحديث فى مثل هذا الموضوع سيخرج به عن النطاق الذى رسمه لنفسه ، وألزمها به ، وإنما يود، أن يشير إلى أن رسالة محمد (ص) « نزلت فى الوقت الذى يتطلبها ، ويعين على تقبلها ، إذ سرعان ما عم ضـــوؤها أرض العرب كلها ، ثم شاء الله للفيض الإسلامى أن ترتوى به القلوب فيما وراء هـذه الرمال ، ففتحت الحيرة سنة ١٢ هـ [١] ، وفتحت دمشق سنة ١٤ هـ [٢] وقضى على الفرس فى موقعتى القادسية والمدائن سنة ١٦ هـ [٣] كذلك فتحت مصر سنة ١٩ هـ [٤] .

وإذا ما حاولنا أن نجد تعليلا لانتشار الدعوة الإسلامية على هذا

---

(١) انظر تفاصيل الفتح عند ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٢ ص ١٦٤
ــ البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٥

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص١٢٧

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ ، ٢٧٣
ــ جويدى يجعل موقعة القادسية سنة ١٥ هـ

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص٢١٩

النحو السريع الذى تمت به ، فإننا سوف نتبين أن اجتماع قلوب المسلمين على إقامة دينهم (١) ، ونشره بين النـاس كافة ، قـد أزال الخلاف من صدورهم ، فاتحدت وجهتهم ، وعندئذ لم يقف شيء فى سبيلهم . هذا إلى ماكان من صمـودهم فى القتـال ، واستماتتهم فيه لإيمـانهم بأنهم على الحق ، ولرغبتهم الفائقة فى الفوز بما أعده الله للشهداء .

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص١٥٧ ؛ ١٥٨ ط مصطفى محمد .

الباب الرابع

نشاط السريان في ظل الأمويين

الفصل الأول

الأسباب التى مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الإسلامية

كان الطابع العربى هو الذى يميز الدولة الإسلامية فى عهد الأمويين (١) « ٤١هـ — ١٣٢هـ » ، ولذلك جرت نظرة العرب إلى الأعاجم فى ظاهم على أنهم أقل منهم مرتبة ، فاستعلوا عليهم ، وأنفوا أن يزوجوهم (٢) بناتهم ، كما لم يكن محل رضى من العامة أن يتولى أحد ممن يشك فى نسبهم منصبا رئيسيا (٣) .

ولقد دفع هذا المسلك الكثيرين من العجم إلى الدخول مع المسلمين فى دينهم لكى يعزوا (٤) بهم فلقد « رأوا أن أهم مصدر لشعور المسلم بتفوقه هو يقينه الذى لا يقبل الجدل بأن دينه خاتم الأديان ، وأنه هو

---

(١) راجع قول الجاحظ « إن دولة بنى مروان كانت عربيــة أعرابية ، وفى أجناد شامية » البيان والتبيين جـ٣ ص٢٩٧ .

(٢) انظر قصة تفرقة إبراهيم بن المغيرة والى المدينة بين أحد الموالى وزوجته العربية ، وما أنزله به من عقاب لإقدامه على ذلك . الأغانى جـ ١٤ ص ١١٤ ط . ساسى .

(٣) راجع ما وجه إلى خالد بن عبد الله القسرى من هجــاء حين ولى على العراق . البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٧٤ ، جـ٣ ص ٢٩٣

— انظر دائرة معارف البستانى : مادة خالد جـ٧ ص٣٢٨

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٨٩

الحق الذى لاحق سواه (١) .

وليس من شأننا هنا أن نستقصى الدوافع التى دفعت بالعرب إلى سلوك هذا المسلك ، فالإسلام قــد جعل من مبادئه أن أكرم الناس عند الله أتقاهم ، وأن المؤمنين إخوة غير أن الشىء الذى يجب ألا يفوتنا ذكره ، هو أن المعاملة التى لقيها الأعاجم فى عهد الأمويين بخاصة ، كان مردها فى كثير من الحالات إلى تعصب العرب لجنسهم ، واستشعارهم نشوة الظافر ، وعزة المنتصر ، هذا إلى ما كانوا يطوون عليه صدورهم من حقد قديم على الفرس .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظلت الدولة الأموية عربية المظهر . ولم يبعد الخلفاء الأمويون عن هذا الطابع إلا فى المجـــالات التى دفعتهم الظروف إليها دفعاً . لقد كانوا بصدد إرساء أسس جديدة لدولة ناشئة على نهج لم يكن للعرب به عهد من قبل . وكان بودهم أن يستكملوا لها كل مقوماتها ، ولم يكن بد إذن من أن تواجههم مشكلات نتيجـــة لما يمارسون من نشاط جـــديد . كل ذلك جعلهم يلجأون إلى ذوى الخبرة فيما جد من أمور ، فهم لم يناقضوا أنفسهم حين استمدوا العون من كل قادر عليــه من أهــل الثقـــافات اليونانية والسريانيــة مما أتاح للعقليـة العربيـة أن تلقح بلقـاح على جـديد حملـه إليهـا السـريان على وجه خاص .

يقول ج (٢) . ليفى دللافيدا « فى هذا العصر بدأت الثقافة المسيحية

---

(١) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٥٥

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى ص ٦٠٢

فى صبغتها الآرمينية البوزنطية تتسرب إلى المسلمين ، وهذا هو الذى انتهى إلى تكوين المدنية الخاصة التى امتاز بها الإسلام .

وهم لم يناقضوا أنفسهم حين استجابوا لدواعى قوميتهم العربيـــة ، فاندفعوا يبغون السلامة للسان العربى مما جعلهم يبعثون بأبنائهم إلى أعماق البادية لكى (١) يتعلموا هناك العربية الخالصه الفصيحة ، وهم يتشددون فى هذا الأمر حتى يرى أحد(٢) خلفائهم أن ابنه ليس أهلا لتولى أمر العرب لأنه لا يحسن النحو .

وهكذا يبدو أن الأمويين اهتموا بكل ما من شأنه ان يجعل الدولة فى عهدهم عربية خالصة ، فكان إنتاجها العقلى يتكون فى غالبيته من الشعر ، وهو فى معظمه من النوع البدوى القديم ، ولئن دخل على بعضه تعديل تتضح فيه نفحة البلاط الحيرى والغسانى الا أن ذلك كله كانت تغلب عليه الروح الجاهلية ... غير أن ثقافة الإغريق وعلومهم لم يجدا لها مكانا فى شعر هؤلاء ، بل يلوح أنها كانا شيئا غــير ذى معنى لديهم (٣) .

---

(١) راجع ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ١ ص ٢٩٣
— فيليب حتى : تاريخ العرب حـ١ ص ٢٤٤
— الدكتور احمد شلبى : تاريخ التربية الإسلامية ص ٨٢

(٢) كان عبد الملك بن مروان يعاتب ابنه الوليد على عـــدم إحسانه النحو فكان يقول له ، لا يلى العرب إلا من يحسن كلامهم ، فجمع أهل النحو ودخل بيتا ولم يخرج منه ستة أشهر ، ثم خرج وهو أجهل منه يوم دخله ، فقـــال عبد الملك قد أعذر ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٠٦

(3) Oleary : How *Greek* Science Passed to the Arabs p. 146

ولقد توفرت فى الدولة الأموية كل العوامل التى تساعد على قيام مراكز ثقافية تعنى بالنشاط العقلى ، وتمثلت هذه المراكز بصورة واضحة فى كل من البصرة والكوفة «فلم تكد تمضى مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم حتى أصبح العراق مركزا لأعظم نشاط فكرى فى ذلك العصر ، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربى الجديد من قوة فتية ، وعزم متوقد ، تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق المنشأة حديثا مثل البصرة والكوفة(١) » .

حقيقة إن عمر بن الخطاب(٢) كان قد أشار ببنائهما ليكونا ثكنات لجند المسلمين إلا أنها سرعان ما أصبحتا من أهم مراكز الثقافة بعامة وما يمس الجوانب اللغوية منها بخاصة .

يقول ف بارتولد «صارت الكوفة والبصرة مركزين نشيطين للحياة العلمية ، ولم يكن فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) مدينة

---

(١) نجلاء عز الدين : العالم العربى ترجمة محمد عوض ابراهيم ص ١٢

(٢) جاء فى مختصر تاريخ الدول لابن العبرى «أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الاشعرى فبنى مدينة البصرة » ص ١٧٤

— ذكر أبو الفدا أن ذلك كان سنة ١٤ ﻫ ، وقيل سنة ١٥ ﻫ ﺟ١ ص١٦٨

— غير أن أوليرى يقول «إن الذى أسس البصرة هو عتبة بن غزوان فى سنة ٦٣٥ ، ٦٣٧ How Greek science passed to the Arabs p. 143

— ذكر ابن خلكان أن الكوفة بنيت فى الإسلام على ظهر الحيرة سنة ١٧ ﻫ ، بناها عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبى وقاس . وفيات الأعيان ﺟ١ ص ٨٣

تستطيع منافستها، ففيها وضعت علوم العقائد والفقه من قبـــل الأعاجم « غير العـرب » الذين أسلـوا وتلاميذهم ، ثم نشأت في كلتـا المدينتين مدرسة للنحويين واللغويين ، فكانت مجادلات ومناقشات بـــين البصريين والكوفيين » (١) .

ويقول دي بور « إن المقر الأكبر للثقافة العقلية كان في البصرة والكوفة حيث التقى عرب وفرس، ونصارى ومسلمون، ويهود ومجوس ، وهنا حيث ازدهرت التجارة والصناعة، يجب أن نلتمس بواكير العقـل الدنيوى ، تلك البواكير التى نشأت من مؤثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة اليونانية فى دورها الشرقى (٢) » .

ويشير المستشرق جب إلى الأثر السريانى فى بيئة البصرة بقوله « ولما كانت مدينه البصرة فى واقـع الأمر هى المـــركز الرئيسى لدراسات الأدب العربى فى مبدأ الأمر ، فهذا يشير إلى أن أحد العـــوامل التى عملت على تشجيع تلك الدراسات كانت أكاديمية جنديسابور ، ومـع أن تلك الأكاديمة وجدت فى الأراضى الفارسية ، فلم تكن مركزا للدراسات الآرامية ، وكان أغلبية قوادها من العلماء من النسطوريين (٣) » ،

ويذهب الأستاذ حامد عبد القادر إلى أن الثقافة السريانية قد وفدت إلى الكوفة والبصرة من الحيرة ، لا من جنديسابور ، فيقول « وقـــد استقى

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ٧١

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية : ص ٧

(٣) انظر الدكتور صلاح الدين المنجـد : المنتقى من دراسات المستشرقـين هـ. أ. ر. جب : خواطر فى الأدب العربى ص ١٣٠

الحيريون معارفهم اليونانية من اللغة السريانية ، وحلت الكوفة والبصرة فى العصر الإسلامى المزدهر محل الحيرة (١) .

أما أوليرى فيرى أن البصرة قد أعجبت بالثقافة الأغريقية الوافدة إليها من الحيرة على احتمال ، ومن جنديسابور على احتمال آخر (٢) .

ولقد توفرت عدة أسباب ضاعفت من الاهتمام بالدراسات اللغوية فى كل من البصرة والكوفة ، من ذلك « ما وجد من الهوة الواسعة التى كانت تزداد اتساعا يوما بعد يوم ، فتفصل بين لغة القرآن الفصيحة ، ولغة الكلام اليومية التى كانت تخالطها السريانية والفارسية وغيرها من اللغات واللهجات » (٣) .

كذلك فى وسعنا أن نلحظ أيضا أن إحساس الموالى بالضعة جعلهم يدركون الحاجة إلى تعلم اللغة العربية ودراستها ليقفوا بأنفسهم على مرامى القرآن ومعانيه ، وليتخذوا من إجادتهم لها وتفوقهم فيها سبيلا يقربهم من الخلفاء والحاكمين ، ويصل بينهم وبين المراكز العالية فى الدولة .

كذلك نجد أن النظر فى القرآن (٤) والحديث أيضا كان يستوجب أن يتقدمه الاهتمام بالعلوم العربية لأنه متوقف عليها ، وهى علم اللغة والنحو والبيان ، ونحو ذلك ، وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة

---

(١) الإسلام : ظهوره وانتشاره .
(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب - ترجمة تمام حسان ص ٢١٩
(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ٣٠١
(٤) انظر حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ج ١ ص ٤٠

الإسلامية ، ولقد كان العرب يأخذونها بسليقتهم وفطرتهم قبل الإسلام ، ولم يكونوا فى حاجه الى أن يفصلوا القول فيها حينذاك لأنهم لم يقدر لهم فى معظم أحوالهم أن يفارقوا صحراءهم ، أو يخالطوا غيرهم من الأمم ، فلما أسلموا وتجاوزوا بالاسلام حدود باديتهم ، ودخل معهم فيه من ليس منهم ، تسربت اللكنة الأعجمية إلى كثير من الألسن ، وسرى اللحن بين الناس مما دفع البعض إلى أن يقول ذهبت لغة العرب لما خالطهم العجم ، وتوشك إن تطاول عليها الزمان أن تضمحل » (١)

كل أولئك أثار حمية العرب ، فأخذوا يهتمون بكل ما يتصل بلغتهم حفظا لها من التغيير ، وعونا على إستجلاء معانى القرآن الكريم الذى نزل بها ، فقد قيل عن أبى الأسود الدؤلى أنه أخذ النحو عن على بن أبى طالب وكان « لايخرج شيئا أخذه عنه إلى أحد حتى بعث اليه زياد أن اعمل شيئا يكون للناس إماما ، ويعرف به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ : إن الله برىء من المشركين ورسوله « بالكسر » ، فقال ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد ، فقال أفعل ما أمر به الأمير ، فليبغنى كاتبا لقنا يفعل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس .... فقال أبو الأسود إذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن ضممت فمى فانقط نقطة بين يدى الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » (٢) .

---

(١) أبو الأسود الدؤلى : انظر دائرة معارف البستانى المجلد الاول ص ٧٨٨

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٦٦ ط . الاستقامة

ومهما كان حظ هذه الرواية من الصدق فإنها تدل على تبلبل الألسنة ، ورغبة أولى الأمر فى المحافظة على سلامة اللغة .

ولئن كان ظاهر الأمر يشير إلى أن عنصر الأصالة العربية هو الذى يغلب على هذه الدرسات التى تدور فى محيط اللغة ، إلا أنه فى الإمكان تبين الآثار الأجنبيه فيها ، فها نحن أولاء نرى أن هذا النشاط الذى حفلت به البيئة الإسلامية ، والذى قام ليصون اللغة العربية من عجمة الذين بدأوا يتكلمون بها من غير أهلها ، وليفيد منه العرب أنفسهم لأنهم خالطوا الأعاجم فتغير لسانهم ، وليخدم النص القرآنى حتى لايزل أحد فى فهمه ، ما هو إلا صورة مما فعل السريان قبل ذلك فى لغتهم ، « فلقد ظلوا يستغنون بالأحرف دون الحركات برهة طويلة من الزمان ، ثم تنصروا ، ونقلوا إلى لغتهم الكتب المقدسة خصوصا الأناجيل ، وأرادوا ضبط كل كلمة منها عند قراءتها فى الكنائس والبيع احترازا من الخطأ ، فإن الخطأ فى تلاوة مثل هذه الكتب المحترمة فاحش ، وقد يستلزم ما يوهم الكفر والزندقة فى قارئها ...... ولما لم يكن للسريان بد من الحركات ، ولم تكن لهم سبيل إلى تغيير الأحرف المعهودة المستعملة ، أو إلى زيادة أخرى ، اضطروا إلى اختراع علامات صغيرة لا تتأثر بها الأحرف ولا يغير شكلها ، فاقتصروا على رسم نقطة أو سطيرة صغيرة فوق الحرف أو تحته أو فى وسطه ، وبقيت الأحرف كما هى ، فلم يغيروا أحرفا ، بل زادوا نقطا أو سطيرات ... ولقد حذا اليونان حذوهم فى ذلك ، فلما جاء العرب انتفعوا بذلك وأتقنوه وأصلحوه (١) .

---

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٣، ٨٤

يقول أحمد أمين « كان طبيعيا أن ينشأ علم النحو فى العراق .... لأن الآداب السريانية كانت فى العراق قبل الإسلام ، وكان لها قواعد نحوية ، فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية خصوصا واللغتان من أصل سامى واحد ، لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريين أولا ثم الكوفيين » (١) .

ويلاحظ أنه فى « المصاحف القديمة من الجيل الثانى للهجرة تدل النقطة من فوق الحرف على الفتح ، ومن تحته على الكسر ، وفى وسطه على الضم ، ثم صارت هيئة الحركات على ماهى عليه الآن » (٢) .

وتبدو ملامح التأثير السريانى بشكل واضح فى دراسات اللغويين ، فالخوارزمى فى مفاتيح العلوم يعقد فصلا (٣) « فى وجوه الإعراب على مذهب فلاسفة اليونانيين » يقول فيه « الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة ، وكذلك الضم وإخوته المذكورة ، والكسر وإخوته عندهم ياء ناقصة ، والفتح وإخوته عندهم ألف ناقصة » .

واذا كان المسلمون قد تأثروا بالسريان فيما اتخذوه لضبط لغتهم وإعرابها ، فإن السريان كانوا وراء المنهج الذى اتخذه النحاة لكتبهم ، ذلك أنهم كانوا يشتغلون بالفلسفة والعلوم اليونانية فى مدرسة جنديسابور ، ولقد أدى ذلك الى أن أصبحت المعارف اليونانية منتشرة

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٢٠

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٤

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٣١ ط . الشرق

بين الفرس شائعة فيهم ، وابن خلدون فى مقدمته يذكر أن أصحاب صناعة النحو « كسيبويه والفارسى من بعده ، والزجاج من بعدهما ، كلهم عجم فى أنسابهم ، وإنما ربوا فى اللسان العربى ، فاكتسبوه بالمربى ، ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفنا »(١) .

لذلك ليس غريبا أن نراهم عند وضعهم كتبهم المشهورة يسلكون مسلكا فلسفيا يتعلق بالمنطق ، ومن ذلك أن أرسطاطليس قال إن الزمان والمكان هما كالوعاء للأشياء ، إذ لابد لكل شىء مخلوق أن يكون واقعا فى زمان من الأزمنة ، وفى مكان من الأمكنة ، فهما كالوعاء ، وهذا أصل تسميه النحويين للمفعول فيه ظرفا ، أى وعــاء ، ومن مذهب أرسطاطليس فى المنطق تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، وتعريف الكلام عند نحاه اليونان هو تركيب كلمات تفيد معنى تاما ، وهذا يماثل تعريف الكلام عند نحاة العرب ، إذ الكلام عندهم لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليه ، والصرف عند اليونان هو تحويل آخر الكلمة من حرف إلى آخر ، ويضاهيه تعريف الإعراب عند نحاة العرب .... ، ويقال للصرف عند اليونان كلسيس ومعناه إمالة الشىء أى صرفه (٢) .

ولعلنا بعد ذلك نستطيع أن ننظر فى قول أحد الباحثين المحدثين « لولا علمنا أن الذى ترجم كتاب الشعر هو متّى بن يونس المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، ويحى بن عدى سنة ٣٦٤ هـ ، لاتهمنا النحاة بالنقل عن

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٤ ط . مصطفى محمد

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٥

« أرسطو » ، لأن النحاة اشتغلوا بتدوين علمهم قبل ظهور الكتاب بأكثر من قرن من الزمان ، بل استوى نحوهم علما قائما بذاته قبل ظهور كتاب الشعر بأكثر من قرن (١) » .

* * *

وبعد أن بينا العوامل التى أعانت على فعالية التأثير السريانى فى الدراسات اللغوية العربية ، ومظاهر هذا التأثير ، نعود لما ذكرناه آنفا من أن الأمويين كانوا بصدد بناء ملك وإقامة دولة ، لذلك لم تكن هذه العلوم وتلك الدراسات التى عرضنا لها بمستطيعة أن توفر لهم مطالبهم . كذلك لم يكن رجالها بقادرين على أن يكفوهم حاجاتهم ، وإذا كانت القبائل قبل الإسلام تتخذ من الشعراء أعوانا على حفظ كيانها ، فإن الظروف قد تغيرت فى العصر الأموى ، وأصبحت الدولة فى حاجة إلى صنف آخر من الناس يوطد لها أركانها ، كذلك إذا كانت ثقافة كل عصر عليها أن تلبى مطالبه ، وتشبع حاجاته ، فإن ثقافة العصر الأموى قد قامت بدورها ، حقيقة إنهم لم يفرغوا للشئون العلمية بقدر ما فرغوا للأمور السياسية إلا أننا نصادف من بينهم من لم يدخر وسعا فى سبيل تشجيع الحركة الأدبية ، والتقدم العلمى . وإذا لم يقدر لنتائج جهودهم أن تظهر بجلاء ، فإن هذا يرجع لعدم استقرار الأمور طوال أيامهم ، وقرب العهد بالعصر الجاهلى . وإذا كان المتفق عليه « أن التقدم فى المدنية يخطو بالتدرج خطواته ، فإنه قد خطا الأولى منها الأمويون ، وخطا الخطوات الأخرى العباسيون (٢) » ، وعلى

(١) الدكتور ابراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ١١٧

(٢) راجع قصة الأدب فى العالم . تصنيف أحمد أمين وزكى نجيب محمود ص ٣٧٦

ذلك فالازدهار الذى أصابته الحياة العلمية فى العصر العباسى قد وضعت أولياته على أيام الأمويين ، ذلك لأن الظواهر الحضارية دائما فى حاجة إلى فسحة من الوقت لكى تخرج ثمارها .

وهكذا استجلبت البيئات العلمية علوما كانت حتى ذلك الحين تكاد تكون غريبة على العقلية العربية مما دفع إلى تسميتها بالعلوم الدخيلة . ولقد كان السريان هم القنطرة التى عبرت عليها هذه العلوم لتصل إلى العرب ، وساعد (١) على ذلك هذا التزاوج السريع الذى حدث بين العرب وبين الأمم المغلوبة بعامة . ولقد تم هذا التزاوج فى البيئات التى تعبق بالروح الهلينية بدافع من مساواة الإسلام بين معتنقيه ، إذ لم يكن ثمة تعصب أو انحياز ، وإنما كانت المساواة ، وكان التسامح هما الأساس الذى بنى عليه الإسلام معاملته لأهل الأديان الأخرى ، وقد كان لذلك أثره فى استثارة هممهم ، وتحريك رغبتهم فى المشاركة فى ألوان النشاط المختلفة التى تدور حولهم .

يقول جوستاف جرونيباوم « وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى بواكير صدر الإسلام مرضية مقبولة »(٢) .

ويقول ف . بارتولد « وكان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمنة الأولى لحاجة الفاتحين إلى هذا العنصر المسيحى

(١) انظر الدكتور على سامى النشار : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ص٥ ، ٦ الطبعة الأولى

(٢) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ص٢٣٣

المتفوق على العرب حضارة (١) » .

ولقد كان انتقال الخلافة من الحجاز إلى سوريا من العوامل التى فتحت الباب أمام السريان ليسهموا بجهودهم فى بناء الدولة الإسلامية . كما كان لهذا الانتقال أثره فى تطور الحضارة ، فلقد « وجد العرب أنفسهم حكاما لمنطقة كانت ولاية رومانية خاضعة لقانون رومانى كامل التطور وإدارة منظمة جدا ، وقد أبقوا كل هـذا كما كان (٢) » كذلك كانت دمشق (٣) وهى العاصمة الرسمية لسورية مدينة إغريقية جزئيا ، كما كانت مقر الأساقفة المسيحيين ، وكانت بها مدرسة ظلت تحتفظ بشهرتها حتى وقت الفتح العربى . « ولقد خضع معاوية وخلفاؤه من بعده فى دمشق للعادات اليونانية ، فحول الخلفاء الأمويون جمهورية المدينة الدينية العربية إلى امبراطورية حقيقة سورية .... فضربوا الدنانير الذهبية على نسق الدراهم البيزنطية ، وجعلوا الخلافة وراثية بعد أن كانت انتخابية ، واستعملوا عمالا كثيرين من اليونان والسريان ، وأسندوا إلى المسيحيين مركز الوزير الأول (٤) » .

يقول ج . ليفى دللافيدا « لقد انتفع معاوية فى إدارة البلاد الداخلية بخبرة المسيحيين أكثر مما انتفع أسلافه ، وكان قد اتصل

---

(١) ف . بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية : ترجمة حمزة طاهر ص ٥١

(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ترجمة : الدكتور تمام حسان ص ٢٠٦

(٣) المرجع السابق ص ٢١٠

(٤) ماكس فانتاجو : المعجزة العربية ص ٣٩ .

بالمسيحيين اتصالا وثيقا أيام ولايته على الشام فى عهد عمر وعثمان ، وعرف مبلغ علمهم ومقدرتهم العلمية (١) » .

ويقول أوليرى : « وقد ظلت الكتابة فى السنوات العشرين الأولى أو ما يزيد عنها باللغة الإغريقية ، وكان الموظفون المدنيون جميعا من المسيحيين على وجه التقريب (٢) » .

ويبدو أن هذه الظاهرة بعد أن تفشت كانت لا تجد قبولا من الرأى العام العربى . يقول جوستاف جرونيباوم « كان تعيين غير المسلمين فى مناصب الحكم يعد أمرا غير قانونى ، وأن المعينين كانوا يتولون مناصبهم على مضض من الناس ، وأن دوائر الأتقياء كانت تحارب دائما مثل ذلك التراخى فى التصرفات من جانب بعض حكامهم (٣) » .

ويذكر أوليرى أنه « فى عهد الخليفة عبد الملك كانت ثمة غيرة عظيمة لأن المسيحيين احتكروا جميع الوظائف الإدارية ، وحاول الخليفة أن يستخدم العرب فى أمكنتهم ، ولكن التغيير لم يكن ناجحا ، وأكثر ما استطاع عبد الملك أن يفعله هو أن يحول الكتابة من الإغريقية إلى العربية ، وأن يكتب العربية على النقود (٤) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى ص ٦٧١
(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص٢٠٦
(٣) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٢٣٠ ، ٢٣١
(٤) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص٢٠٧

وعنـــدما نبحث الأسباب التى أعانت المسيحيين بوجه عام على أن يضطلعوا بدورهم فى بناء الدولة الإسلامية يجب ألا يغيب عن بالنا تلك الحرية الفكرية ذات المدى الواسع الذى سمح لغير المسلمين بأن يعرضوا آراءهم دون خوف أو تردد .

فالفتوحات الإسلامية لم توقف سير الحياة العقلية فى البلاد التى قدر لها أن تدخل فى مجالها ، كذلك رضى الإسلام أن يظل أهل الأديان الأخرى على أديانهم ماداموا قد قبلوا أن يدفعوا الجزية ، بل لقد بلغ من سعة صدر خلفاء بنى أمية أنهم كانوا يبيحون المناقشات الدينية بين علماء الإسلام ، وعلماء المسيحية فى حضرتهم .

ولعل هذا الرباط الودى الذى شـــد أهل الديانتين حتى فيما اختلفوا فيه كان مما دفع إليه قول الله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن (١) » وقوله تعالى « ولا تجـــادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون (٢) » .

إذن لا غرابة بعد هذا إذا قلنا إن الحياة العقلية بوجـــه خاص ظلت فى الإسلام تسير رتيبة كما كانت فى كثير من البقاع التى كانت تسودها الروح الهلينية .

---

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥
(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

ولقد تمثل ذلك بصورة متميزة فى المجتمعين النسطورى واليعقوبى حيث ظل النساطرة واليعاقبة على قوانينهم وتقاليدهم ، وظل مسلكهم فى الحياة دون تغيير أو تبديل ، بل إن الأمر قد تهيأ لهم ليزيدوا من طاقتهم فى خدمة الثقافة والمعرفة مما ساعد على نقل العلوم اليونانية والتحامها بالفكر العربى .

الفصل الثانى

حركة النقل وجهود السريان فيها

من اليسير علينا أن نتبين الاتجاهات العلمية فى عهد الأمويين ، فلقد ورثوا حضارات الأقطار التى دخلها الإسلام حتى وقتهم ، وكان انتقال الخلافة إلى دمشق كما ذكرنا من العوامل التى أمدتهم بتراث علمى زاخر ، متعدد المعارف والثقافات (١) ، فقد راقهم - وهم فى بيئتهم الجديدة بالشام تحيط بهم عناصر الحضارة القديمة الناشئة من امتزاج المدنيتين اليونانية والشرقية - أن ينهلوا من مناهل هذه الحضارة مع تحويرها بما يجعلها ملائمة لأغراضهم المادية والروحية ، وهكذا ظلت دمشق القديمة كما كانت مركزا (٢) للحياة الحضارية والسياسية فى سورية « وكثر فيها الأطباء اليونانيون ، ولا سيما من الرهبان على عادة حفظ الصناعة قديما فى خدام الهياكل الوثنية ، فتحول الأمر إلى خدام الكنائس والديارات عند المسيحيين (٣) » . ولقد أسهم هؤلاء الأطباء فى نقل كثير من معارفهم إلى اللغة العربية . كذلك تهيأت الأسباب فى هذه الفترة لكى يتلقى المسلمون الفلسفة اليونانية فى هذا الوقت المبكر ، وقد تثقف بها أفراد منهم .

يقول ابن أبى أصيبعة عن النضر بن الحارث بن كلدة أنه « اطلع

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٣٨

(٢) ف . بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٦٣

(٣) عيسى اسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة (١) » .

وإذا كان الاتصال بالفلسفة اليونانية لم تتضح آثاره بشكل بارز حينذاك ، فإن هذا يرجع إلى أن المسلمين حتى ذلك العهد كانوا يخشون الخوض فيما يمس المسائل الفلسفية (٢) خوفا على عقيدتهم التى لم تتأصل بعد فى نفوس العامة منهم غير أن الحرية الدينية التى سادت فى هذا العصر أتاحت لكثير من الآراء الدينية أن تتعارض وتتخاصم ، مما جعل الفرصة تسنح لرجال الدين المسيحى أن يتناولوا الأمور التى كانت مثار الجدل بينهم وبين المسلمين تناولا فلسفيا .

وشاع فى هذه الفترة أن فى الإمكان الحصول على الذهب من المعادن الرخيصة ، ودفع هذا الاعتقاد الكثيرين إلى دراسة الكيمياء ، وأثار فيهم الاهتمام بأمرها ، فابتدأت الترجمة من اليونانية إلى العربية بتأثير المسيحيين ونحن فى القرن الأول الهجرى (٣) .

خالد بن يزيد

إن الشخصية الإسلامية الأولى التى عملت بمشورة علماء السريان ، فأقدمت على الاشتغال بالكيمياء هى شخصية خالد بن يزيد .

قال عنه دى بور إنه « اشتغل بالكيمياء بإرشاد راهب

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص١١٣

(٢) يقول حاجى خليفة : « إن المقصود من المنع هو احكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الانام » كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤

(٣) انظر ف. بارتولد : الحضارة الإسلامية ص ٦٤ — ٦٨

نصرانى » (١) .

وتحدث عنه ابن النديم فقال إنه كان « يسمى (٢) حكيم آل مروان وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ، ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح فى العربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة » . وكان ما نقل يتضمن كتبا فى الطب ، ويضم كتبا فى النجوم .

وفى عداد الأسباب التى دفعت هذا الأمير إلى الاشتغال بالكيمياء والعناية بإخراج كتب القدماء فيها ، نستطيع أن نذكر إلى جانب محبته للعلوم أمر إبعاده عن الخلافة ، فلقد كان راغبا فيها بعد وفاة أخيه معاوية الثانى ، ولكن مروان بن الحكم غلبه على ذلك ، فراح يحاول « اكتساب العلا بالعلم (٣) » .

كذلك نستطيع أن نذكر ما طبعت عليه نفسه من الكرم والجود فلقد « قيل له : لقد فعلت أكثر شغلك فى طلب الصنعة ، فقال خالد : ما أطلب بذلك إلا أن أغنى أصحابى وإخوانى ، إنى طمعت فى الخلافة

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٣٩

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٢ ط . الاستقامة ، وانظر ص ٥١١ من المرجع نفسه

— راجع الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٢٨

— ورسائل الجاحظ ص ٩٣ ط. السندوبى .

(٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣٣٢

فاختزلت دونى ، فلم أجد عنها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أحوج أحـــدا عرفنى يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطـان رغبة أو رهبة » (١) .

ولقـد تعمق خالد بن يزيد فى دراسـة الـكيمياء حتى لقـد كان له فضل السبق فى التأليف فيها ، ذكر ابن خلكان (٢) « أنه كان من أعلم قريش بفنـون العـــلم ، وله كلام فى صنعـة الـكيمياء والطب ، وكان بصيرا بهذين العلمين ، متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصنعة على رجل من الرهبان يقال له مريانوس الرومى ... وله فيها ثلاث رسائل » .

ويقرر ابن النديم أنه شاهد كتبه التى وضعها ، فيقول « إنه صح (٣) له عمل الصناعة ، وله فى ذلك عـدة كتب ورسـائل ، وله شعر كثير فى هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة » .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص٥١١ ط.الاستقامة
(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص٢١١
ــ انظر جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتـــاريخ واللغة عند العرب ص ٩
ــ اقرن ذلك بما ذكره عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص١١
(٣) الفهرست ص ٥١١ ط . الإستقامة
ــ انظر صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص٥٥ ط . محمد نعمر

ويكشف أحد الباحثين عن موضوع رسائله ، وما عالجه فيها فيقول إن « له في (١) صنعة الكيمياء في الطب رسائل ، وأشهرها ثلاث ، إحداها ضمنها ما جرى له مع مورينانوس ، وكيف تعلم منه ، والرموز التي أشار إليها » .

ولقد عرف خالد بن يزيد الطريقة التجريبية في أبحاثه ، يقول ابن عساكر « إن (٢) الناس تذاكروا الماء بحضرة عبد الملك بن مروان ، فقال خالد : منه ما يكون من السماء ، ومنه ما يستقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات ، وأما النبات فإنما يكون من ماء السماء ، ثم قال : إن شئتم أعذبت لكم ماء البحر ، فأتى بقلال من ماء ، ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب » .

ويبدو أن شهرة خالد بن يزيد العلمية كانت قد ذاعت وانتشرت حتى « يروى أنه وجد الحجر الفلسفي الذي يصنع به الذهب الاصطناعي (٣) » .

كذلك يبدو أن حداثة العهد بهذه المعارف في البيئة العربية قد دفعت الناس إلى المبالغة في أمر من يشتغلون بها ، فقيل عن خالد بن يزيد « أن علمه من الذي استخرجه دانيال من غار الكنز ، وهو

---

(١) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

(٢) التاريخ الكبير : حـ ٥ ص١١٩ مطبعة روضة الشام ١٩٣٢ م .

(٣) ف بارتولد تاريخ الحضارة الإسلامية ص٦٩

الذى أودعه آدم أبو البشر ما علم[١] » .

وهناك من [٢] يذهب إلى أن ما نسب إلى خالد لا يعدو حد القصص إلى الحقيقة ، وعلى أية حال فإن نسبة هذا النشاط إليه هامة فى حد ذاتها ، فهى تكشف عن اتجاه المسلمين إلى ترجمة الآثار العلمية فى هذا الوقت من حياة أمتهم ، وتشير إلى أن اللغة العربية استوعبت هذه المعانى العلمية التى عرضت لها الكتب المترجمة ، ثم إنها تؤكد أن العرب استمدوا معارفهم العلمية فى البداية من المراجع اليونانية القديمة ، وأنهـا كانت أول حافز لهم على تلك الدراسات .

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن خالد بن يزيد قد استدعى بعض العلماء من الإسكندرية[٣] ، وكلفهم ترجمة الكتب اليونانية التى تناولت موضوع الكيمياء ، ومن هؤلاء المترجمين أصطفن القديم ، وهو أول المترجمين فى هذه الدولة ، وقد عرب لخالد المصنفات الطبية والكيماوية عن اليونانية[٤] » .

(١) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٣٠٢
(٢) راجع فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص ٣٢٠ ، ٣٢١
(٣) انظر الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ١٦٤
(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ ط . الاستقامة
(٥) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١١

الترجمة قبل خالد بن يزيد :

إن إصرار الباحثين وإجماعهم على أن أولية النقل إلى اللغة العربية معقودة لخالد بن يزيد ومن عاونه من علماء النساطرة يجب ألا يخدعنا فنصرف النظر عن المرحلة التى تسبق عصره ، فالواقع أن الترجمة كانت معروفة قبله ، ولكن الذى استحدثه خالد هو بذل جهد مقصود لنقل معارف علمية بحته لاتستلزمها شئون الحياة الجارية .

ولعل الباحث يجد الدليل على صحة هذا الرأى فيما يذكره ابن اسحق وهو بصدد الحديث عن بناء الكعبة على عهد النبى(ص) اذ يقول (١) « حدثت أن قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود ، فإذا هو : أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لاتزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لاهلها فى الماء واللبن »

وفى صدر الدعوة الإسلامية اتخذ رسول الله (ص) من يقوم مقام المترجم بينه وبين من يشاء الكتابة لهم من الملوك والحكام .

يقول المسعودى (٢) « كان الخزرجى يكتب إلى الملوك ويجيب بحضرة النبى(ص) ، كذلك كان يترجم للنبى(ص) بالفارسية ، والرومية ، والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن » .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ١ ص ٢٠٨
ـ انظر برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية جـ ١ ص ١٩١
(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٤٦

ولقد كانت رغبة الرسول(ص) فى تأمين الدعوة الإسلامية دافعا له لكى يوجه فريقا من الصحابة لتعلم هذه اللغات ودراستها حتى يستطيعوا أن يؤدوا عنه ما يريده لأهلها .

يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه (١) « أمرنى رسول الله(ص) أن أتعلم السريانية ، قال إنى لا آمن يهود على كتابى ، فما مربى نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه ، فكنت أكتب له (ص) إليهم وأقرأ لهم . »

نخلص من كل ذلك الى أن البيئة الإسلامية فى هذه الفترة شأنها شأن أى بيئة اجتماعية أخرى يتوفر فيها هذا التفاعل المستمر لايمكن أن تخلو ممن يعرف غير لغة أهلها خاصة والظروف هنا قد أفسحت المجال لأصحاب هذه الألسن الأجنبية أن يجدوا لأنفسهم مجالا بين ظهرانى القوم .

اشتغال السريان بالترجمة قبل الاسلام

ليس من مصادفات العصر أن نجد الرواد الأوائل الذين يضطلعون بعبء الترجمة والنقل سريانا ، اذ أن هذا هو الأمر الطبيعى الذى كان لابد أن يحدث ، ذلك لأن هؤلاء كانوا قد قطعوا فى هذه الطريق شوطا بعيدا ، فقد مارسوا الترجمة قبل ظهور الدولة الأموية بكثير ، فمنذ القرن الرابع الميلادى شرع السريان (٢) فى نقل الكتب اليونانية إلى السريانية فى مدرسة الرها .

---

(١) برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٣٥ ط ١٢٩٢ هـ .

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٨٢ .

فترجمت فى هذا القرن مجموعات من الحكم ، وفى القرن الخامس (١) شرح بروبوس كتب أرسطو المنطقية وإيساغوجى لفورفوريوس . كذلك ممن نقلوا علوم اليونان إلى السريانية سرجيس (٢) الرأس عينى اليعقوبى المتوفى سنة ٥٢٦ م ، وقد كان رئيسا لأطباء رأس العين ، غير أنه اشتغل « بالفلسفة ، وكتب مقالات شتى ، وترجم كتبا كثيرة فلسفية وطبية من اليونانية إلى الكلدانية » (٣) .

ويذكر ابن أبى أصيبعة « أنه أول من نقل كتب اليونان إلى السريانية » (٤) .

كما يذكر جويدى « أنه أول من علم أبناء وطنه فلسفة

---

(١) راجع النقل عن اليونانية فى القرن الخامس الدكتور مراد كامل . تاريخ الأدب السريانى ص ١٢١ — ١٣٥ .

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

— اقرن ذلك بقول أدى شير « لم يلبث سرجيس أن انحاز إلى الكاثوليك وحارب معمم البدعة المنوفيسيتية بشدة لا مزيد عليها ،ولهذا لا صحة لقول المؤلفين المنوفيسيتيين أنه كان يعقوبيا ، ومما يستحق الاعتبار أن بعض النساطرة كانوا من أخص تلاميذ سرجيس منهم ثئودور أسقف مرو » تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٧٢ .

(٣) أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ١٧٢

(٤) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٩

— أنظر قوله « وهو أول من نقل شيئا من علوم الروم إلى اللسان السريانى ج ١ ص ١٨٦ وانظر أيضا ج ١ ٣٠٤ من المرجع نفسه .

أرسطوطاليس » (١) وقد ترجم سرجيس كتاب الطب لجالينوس (٢) الذى يعتبر أساس دراسات الطب فى الأوساط الطبية الشرقية (٣) » .

وفى مصر نشط السريان قبل الفتح الإسلامى ، وبدأ نشاطهم خاصة فى الإسكندرية وفى الأديرة التى اتخـــذوها لأنفسهم ، وبسببهم عرفت مصر اللغة السريانية وإن ظلت محصورة فى محيط هـذه الطائفة . وكان لهم نشاط علمى ملحوظ ، فقد ترجم أحد أساقفتهم نسخة الــترجمة السبعينية من الكتاب المقدس إلى اللغة السريانية ، كما ترجم (٤) جاسيوس مقالات أهرون القس الطبية من اليونانية إلى السريانية .

ولقد كانت الترجمة من اليونانية إلى السريانية بالغـــة الدقة حتى أن « من يجيد اللغتين يجـــد أنه من المستحيل أن يفرق بين الأصـــل والترجمـــة السريانية (٥) » غير أن « مطابقة » الترجمة للأصـــل

---

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العـــرب ص ١٨٢ .

(٢) انظر عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ٤

(٣) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٦٧ .

(٤) عيسى إسكندر المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ٤ .

— راجع الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص ١٩١ .

— اقرن ذلك بقول ابن أبى أصيبعه « إن أهرون القس ألف كناشة بالسريانية » عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٠٩ .

(٥) نقلا عن خودا بخش : الحضارة الإسلامية ترجمـــة الدكتور على الخربوطلي ص ١٥٧

تبدو فى كتب المنطق والعلم الطبيعى أكثر مما تبدو فى كتب الأخلاق أو ما بعد الطبيعة ، فقد حذفوا كثيرا من غوامض هذين العلمين ، أو فهموه على غير وجهه ، وأحلوا عناصر مسيحية محل ما هو وثنى (١) ، فلقد اصطبغت النظريات الفلسفية فى ذهنهم بصبغة مسيحية ولا سيما نظريات أفلاطون الذى مثلوه فى أديرتهم فى صورة راهب شرقى » .

ولقد أدى هذا الالتحام المباشر بين السريان وعلوم اليونان إلى أن أصبحت الثقافة اليونانية تعيش فى كيان هؤلاء القوم ، وتخالط عقولهم ، مما جعلهم يتمكنون منها ، ويصبحون معلمين لها فيما بعد حين ينقلونها إلى العرب .

ولقد كان دورهم فى العصر الإسلامى امتدادا طبيعيا لما قاموا به قبل ذلك ، فقد واصلوا العمل فى الترجمة . وصاروا بذلك « واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان كالمنطق والفلسفة وعلم الفلك وهلم جرا » (٢)

النقلة فى العهد الأموى

قام يحيى النحوى (٣) « توفى قبل منتصف القرن الثامن الميـــلادى » الملقب بالبطريق بدور كبير فى نقل العلم المسيحى والآراء اليونانية إلى الإسلام ، ولقد كان « نصرانيا فيلسوفا ، فأراد عامل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ازعاجه عن فارس وتخريب ديره ، فكتب

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٠

(٢) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص٨٢

(٣) هو غير يحيى النحوى الذى تزعم بعض الروايات أن له دورا فى قصية حرق عمرو بن العاص مكتبة الإسكندرية

يحيى قصته إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد بن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين » (١)

وعلى الرغم من أن يوحنا كان يكتب اليونانية إلا أنه لم يكن إغريقيا إذ كان سوريا يتكلم الآرامية فى بيته ، ويعرف فضلا عن هاتين اللغتين اللغة العربية ، وقد مكنه هذا من أن يبصر المسلمين بطبيعة الفكر اليونانى وبخاصة الفلسفة ، وذلك من خلال المناظرات والجدل .

يقول الفريد جيوم إنه « كان يتجادل مع العرب حـــول معنى اصطلاح لفظى « كلمة » و « الروح » اللذين نسبا للمسيح فى القرآن هل هما مخلوقان أم غير مخلوقين » (٢) .

وقد ذكر سويتمان أنه « قد بقى لنا قدر كبير مما كتبه ، وإذا كان هناك شك حول بعض الكتب التى تحمل اسمه ، فمن المؤكد أنها إذا لم تكن قد كتبت بقلمه فإنها من وضع تلميذه ثيودور » (٣) .

ويبدو أن يوحنا كان على خلاف مع أهل ديانته إذ كان يموه (٤) عليهم مما أثار حفيظتهم عليه ، وهموا بقتله ، فدفعه ذلك إلى أن يصنف كتبا يرد فيهما على أفلاطون وأرسطو ، كذلك وضع كتبا دافع فيهما عن المسيحية ، وجادل فيها المسلمين .

---

(١) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٩

(٢) الإسلام : ص ١٢٤ ترجمة الدكتور محمد مصطفى هداره

(3) Islam and Christian Theology p. 64.

(٤) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٩

ولقد ظهر تأثير يوحنا فى المسلمين واضحا ، يقول البيهقى « إن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالى رحمه الله فى تهافت الفلاسفة تقرير كلام يحيى النحوى (١) » .

وكما ساهم يحيى النحوى فى نقل الفلسفة اليونانية إلى المسلمين ، كان له أيضا دوره فى نقل المعارف الطبية إليهم ، ولقد أشار البيهقى (٢) إلى أن خالد بن يزيد بن معاوية قد أخذ الطب منه . ولا غرابة فى أن يحيى النحوى قد جمع بين الدراسات الفلسفية والطبية ، فقد كانت سمة العصر أن يجمع الحكماء بين الطب والفلسفة . فقد ذكر بن أبى أصيبعة (٣) « أن النضر بن الحارث بن كلدة الثقفى قد اطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه أيضا ما كان يعلم من الطب وغيره » .

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٩

— يرى الدكتور عبد الرحمن بدوى أن يحيى النحوى عاش قبل الإسلام وألف كتاب الرد على برقلس فى قدم العالم سنة ٥٢٩ م ، وأن هذا الكتاب قد ترجم فى القرن الرابع أو قبل ذلك ، ومن الذين تأثروا بكتاب يحيى النحوى هذا أبو حامد الغزالى فى كتابه تهافت الفلاسفة ، وإن لم يذكر اسم يحيى النحوى ولا كتابه ، ولكنه يكاد ينقل حججه بعينها فى رده على الفلاسفة فى قولهم بقدم العالم .

انظر تصدير « الأفلاطونية المحدثة عند العرب » ص ٣٠—٣٦

(٢) انظر البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ٤٠

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ١١٣

ويبدو أن المسلمين كانوا يولون الدراسات الطبية عناية فائقة منذ وقت مبكر . يقول صاعد الأندلسى « كانت (١) العرب فى صدر الإسلام لاتعنى بشىء من العلم إلا بلغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب ، فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها ؛ ولما كان عندهم من الأثر من النبي صلى الله عليه وسلم فى الحث عليها حيث يقول : ياعباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم » .

ولقد تعرض ابن خلدون فى مقدمته لأحوال الطب فى صدر الإسلام وعرج فى حديثه إلى الكلام عن الطب النبوى (٢) فقال « والطب المنقول فى الشرعيات ...... ليس من الوحى فى شىء ، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب ، ووقع فى ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التى هى عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات » .

ولقد استمد الطب العربى العلمى مقوماته من اليونان والفرس غير أن الصبغة اليونانية غلبت عليه ، وفى مقدمة الأطباء العرب الحارث ابن كلده (٣) ، وأصله من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض

---

(١) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٥ ط . محمد مطر

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٩٣ و ٤٩٤ ط . مصطفى محمد

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١

فارس ، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جنديسابور وغيرها فى الجاهلية وقبل الإسلام ، وجاد فى هذه الصناعة ، وقد أدرك الحارث الإسلام ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه (١) ، ويطالعنا القفطى بخبر يؤكد ذلك فى قوله : « أمر رسول الله (ص) سعد بن أبى وقاص بأن يأتيه فيستوصفه فى مرض نزل به » (٢) . وقد بقى حتى أيام معاوية بن أبى سفيان .

ولقد كانت المادة الطبية التى احتكت بها العقلية العربية قد خرجت من أيدى أصحابها ، ونعنى بهم اليونان ، وتلقفها الدارسون والشارحون الذين يعرفون اليونانية والسريانية ، وشارك الأطباء السريان فى هذه الدراسة بنصيب وافر ، وكان لهم دورهم فى النقل والترجمة .

وقد اشتهر فى العصر الأموى منهم ابن آثال . قال عنه ابن أبى أصيبعة « كان (٣) من الأطباء المتميزين فى دمشق ، نصرانى المذهب ولما ملك معاوية بن أبى سفيان دمشق اصطفاه لنفسه ، وأحسن إليه ، وكان كثير الافتقاد له ، والاعتقاد فيه ، والمحادثة معه ليلا ونهارا » .

— انظر صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٥

— انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٩ و ١١٠

— انظر ابن خلدون : المقدمة ص ٣٤٦

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٦

— يذهب عيسى معلوف إلى أنه نسطورى من الطائف ص ٥ الأسر الطبية

(٢) أخبار الحكماء ص ١١٢ مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ١١٦

كذلك كان من أطباء بنى أمية أبو الحكم (١) الدمشقى ، وهو طبيب من أهل دمشق ، سيره معاوية بن أبى سفيان مع ولده يزيد طبيبا إلى مكة .

وفى عهد عبد الملك بن مروان اختص بخدمة الحجاج بن يوسف ثاودون (٢) وتياذوق (٣) الطبيبان . أما ثاودون فله كناش كبير عمله لابنه . وأما تياذوق (توفى سنة ٩٠ هـ) فقد كان أحد الأطباء السريان المشهورين ، وقد تلقى العلم على يديه تلاميذ أجله كفرات بن شحناثا (٤) الذي خدم الحجاج وهو حدث ، وامتد به العمر حتى

---

(١) انظر تفاصيل أخباره وجهود أسرته فى خدمة الدولة الأموية ثم العباسية عند القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٣ ، ٢٦٤

— انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص ١١٩

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٩٤

— القفطى : أخبار الحكماء ص ٧٦

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص ١٢١

— القفطى : أخبار الحكماء ص ٧٤

— راجع طرفا من أخباره عند ابن قتيبة : عيون الأخبار حـ٢ ص ٢٧٠

— حرف الراغب الأصفهانى اسمه إلى « بيادوق » . محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ص٢٠٣ ط . الشرفية

(٤) راجع ترجمته عند القفطى : أخبار الحكماء ص ١٦٩

— يذهب الدكتور أحمد عيسى فى « التهذيب فى أصول التعريب » إلى أن فرات بن شحناثا سريانى اللغة يهودى المذهب

— انظر عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص١٣

أدرك الدولة العباسية ، وعمل فى صحبة عيسى بن موسى ولى العهد فى أيام المنصور ، وكان يشاوره فى كل أمر ينويه .

وفى أيام عمر بن عبد العزيز « ولد ٦١ هـ = ٦٨١ م — توفى سنة ١٠١ هـ = ٧٢٠ م » زاد الاهتمام بالدراسات اليونانية ، ومن الذين شاركوا فى ذلك عبد الملك بن أبجر الكنانى الذى قال عنه ابن أبى أصيبعة « وكان طبيبا عالمـــا ماهـرا ، وكان فى أول أمره مقيما فى الإسكندرية لأنه كان المتولى التدريس بها ... فلما استولى المسلمون على البلاد ، وملكوا الإسكندرية ، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز ، وكان حينئذ أميرا قبل أن تصـــل إليه الخلافة ، وصحبه ، فلما أفضيت الخلافة إلى عمر ، وذلك فى صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق فى البلاد ، وكان عمر بن عبد العزيز يستطبه ويعتمد عليه فى صناعة الطب » . (١)

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص ١١٦

ـــ انظر خودا بخش : الحضارة الإسلامية ص١٥٣

ـــ استبعد ماكس مايرهوف أن يكون عبد الملك بن أبجر رئيسا لإحدى المدارس فى الإسكندرية فى زمن الروم لأنه عربى مسيحى ولأن الدراسات اليونانية كانت حينــذاك كلها فى أيدى الأساتذة النصـــارى الذين كانوا كلهم من رجال الدين تقريبا ، ومن أجل هذا يجب علينا أن نخرج البيزنطيين من حسابنا ، وأن ننتقـل بما يورده ابن أبى أصيبعـة إلى العصر الإسلامى المتقـــدم .

ـ كذلك يرى أن أكثر الفروض احتمالا أننا بازاء طبيبين يشتركان فى =

ومن الذين اشتغلوا بالترجمة فى العهد الأموى الطبيب البصرى ماسرجوية أو ما سرجيس ، وهو سريانى (١) اللغة ، يهودى المذهب ، وقد اعتقد العرب أن أصله سريانى (٢). ولقد نقل من السريانى إلى العربى (٣) ، وذكر القفطى أنه (٤) ، تولى فى أيام مروان فى الدولة

= نفس الاسم ، عمل أولها طبيبا لعمر بن عبد العزيز ، بل وكان صديقا له ، ويستدل على ذلك بأن ابن أبى أصيبعة فى الترجمة السابقة على ترجمة ابن أبجر يورد اسم هذا الأخير على أنه ممن رووا كلاما يتعلق بابن أبى رمثة الذى كان طبيبا فى عهد الرسول .

أما الثانى فقد اشتهر أيضا بمعارفه الطبية ، وقد ذكر ابن حجر أنه توفى بعد سفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١ هـ = ٧٧٨ م أى بعد عمر عمر بن عبد العزيز بكثير .

— انظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٦٥

— انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١١٦ ، ١١٧

— راجع ترجمة ابن أبى رمثة : القفطى أخبار الحكماء ص ٢٨٤

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص١٩٢

— انظر الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب حـ١ ص٢٢٠

(٢) الدكتور مراد كامل : تاريخ الأدب السريانى ص١٧١

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٧

— انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٠٤

(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص٢١٣

المروانية تفسير كتاب أهرون القس بن أعين إلى العربية ، ووجده عمر ابن عبد العزيز فى خزائن الكتب ، وأمر بإخراجه ووضعه فى مصلاه ، واستخار الله فى إخراجه إلى المسلمين لينفع به ، فلما تم له فى ذلك أربعون يوما أخرجه إلى الناس وبثه فى أيديهم ، وهذا على عكس ما يذهب إليه الدكتور محمد كامل حسين فى قوله (١) « وكتب أهرن القس مقالاته الطبية التى يجمعها « كناش فى الطب » الذى ترجم إلى اللغة العربية بأمر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز » . والدكتور التيجانى الماحى فى قوله (٢) « إن ماسرجوية تولى لعمر ابن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس فى الطب » . والأستاذ عيسى معلوف فى قوله (٣) « إن ماسرجويه عرب كناش القس أهرن بن أعين فى السريانية فى خلافة مروان بن الحكم بإشارة عمر ابن عبد العزيز .

وكيفما كان الأمر فما لا شك فيه أن ماسرجويه نقل كناش أهرن ، وكان ثلاثين (٤) مقالة ، فزاد عليها مقالتين ، وبذلك يعتبر ماسرجوية

= — راجع ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ح ١ ص ١٦٣

(١) الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٢١

(٢) الدكتور التيجانى الماحى : تاريخ الطب عند العرب ص ٤٦

(٣) الأستاذ عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٢

(٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ح١ ص ١٠٩ =

الكتاب (١) الأول لمؤلف علمى بلغة الإسلام ، ولما سرجويه من الكتب كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .

= — ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٧
— القفطى : أخبار الحكماء ص ٥٧

(١) الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب - ١ ص ٢٠٢

الفصل الثالث

موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة

تشير الدلائل إلى أن العقلية العربية تقبلت الثقافات الأجنبية وسارعت إلى امتصاصها وتشربتها ، ثم نشطت مرة أخرى فبثت فيها من روحها ، وأظهرتها للملأ ، وبها من الزيادة ما يشهد لها بالفضل ، ويقر لها بالجميل . وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن التراث الثقافى الذى دخل فى حوزة العرب ، والذى أوصلته إليهم المراكز الثقافية القديمة لم يتجمد على أيديهم ، وإنما توفرت له كل الظروف التى دفعته ليبلغ أقصى الطاقة ، ويحقق غاية النمو . وعلى ذلك « فالحضارة العربية الإسلامية فى قاعها هى الحضارات الآرامية المتأغرقة والإيرانية كما ترقت تحت حماية الخلافة ، وعبر عنها اللسان العربى (1) » .

ولقد تهيأت كل الأسباب التى أعانت العرب على ذلك : فالميراث الثقافى للأمم التى خالطتهم أصبح فى متناول يدهم ، وكان الذهن العربى يتطلع بشوق دافق إلى التعرف على كل جديد ، كذلك كان لدى العقلية العربية الناضجة الإمكانات والقدرات الفطرية التى جعلتها أهلا للقيام بدورها فى هذا الموقف ، فأعان ذلك على سرعة الفهم والتعلم . كذلك توفرت القابلية للتطور فى اللغة العربية ، فتابعت هذه الأبحاث العلمية ، وأمدتها بالألفاظ التى تسد حاجتها المتجددة .

---

(1) الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب ج 1 ص 215

ومن السهل فى هذه المرحلة أن نتعرف على ماهية العلماء الذين أسهموا فى التراث العربى لأنه حتى ذلك الحين كان العرب واللاعرب منفصلين إجتماعيا وأنسابا (١) ، غير أن الأمر يجب أن يعلو على هذه النظرة ، فمفاهيم الألفاظ تغيرت ، ولم تعد مدلولاتها المعهودة تدل عليها .

يقول فيليب حتى (٢) « منذ ذلك الحين أصبح لفظ العربى يطلق على كل من اعتنق الإسلام ، وتكلم باللسان العربى ، وكتب العربية بصرف النظر عن نسبه الجنسى ، وعلى ذلك فالطب العربى ، أو الفلسفة العربية ، أو الرياضيات (٣) العربية .... إنما يقصد بها مجموعة المعارف التى احتوتها الكتب التى كتبت باللغة العربية ، والتى كتبها رجال ازدهروا فى عهد الخلافة فى الغالب ، وسواء فى ذلك أكانوا قد استمدوا معلوماتهم ومادة كتاباتهم من المراجع اليونانية أم الآرامية أم غيرها » .

وفى هذه الفترة ظهر جابر بن حيان (٨٣ هـ = ٧٠٢ م — ١٤٨ هـ = ٧٦٥ م) واشتهر (٤) باشتغاله بالعلوم ولاسيما الكيمياء ، وله مصنفات

---

(١) راجع الدكتور حازم زكى نسيبه : القومية العربية ص٤٢ ، ٤٣

(٢) تاريخ العرب ج١ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠

(٣) انظر تفصيلا واسعا حول الخلاف فى التسمية « إسلامية أو عربية » عند مصطفى عبد الرازق فى كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ط ٢ ص ١٦ — ٢٠

(٤) راجع قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص٩٨

ذكرها ابن النديم فى الفهرست (١) ، وفند مزاعم من نسب شيئا كثيرا منها إلى غيره .

وقد اعتبر (٢) أبا للكيمياء الحديثة ، وقيل عنه أنه بلغ فى الكيمياء ما بلغه أرسطاليس فى علم المنطق ، « ومن خلال أدغال الأساطير والخرافات التى نشأت حول شخصه وعمله ، نستطيع أن نتبين عقلا علميا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رآها أى من قدماء الكيمويين ، ودون آراء جد صائبة فى أساليب البحث الكيموى . وتأثير جابر واضح فى جميع سياق تاريخ الكيمياء فى أوربا (٣) » .

ولقد كان جابر بن حيان مع براعته فى الكيمياء « مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ، ومتقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام » (٤) .

وفيما عدا هذا النشاط العلمى كانت الدولة الأموية أقرب إلى من قبلها فى السذاجة الصناعية ، فلم يكن لترجمة الكتب فيها حظ كبير ولا عظيم أثر ، (٥) ذلك لأن اهتمام الناس كان موجها فى كليته إلى العلوم الدينية الإسلامية ، وكانوا ينظرون إلى العلوم التى تدرس فى

---

(١) راجع ابن النديم : الفهرست ص ٥١٢ — ٥١٧

(٢) انظر الدكتور التيجانى الماحى : تاريخ الطب عند العرب

(٣) نجلاء عز الدين : العالم العربى ص ١٢

(٤) برتيلو : انظر إسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٦٥
— القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١

(٥) محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى ص ٢١٩

المراكز الثقافية على أنها علوم غير المسلمين مما أدى إلى انصرافهم عنها طوال القرنين الأول والثانى ، وظلت العناية بها قاصرة على أهل الذمة من النصارى واليهود على اختلاف مذاهبهم ونحلهم (١) .

ولقد أدى اختلاط المسلمين بالمسيحيين إلى ظهور الأفكار التى تقوم حول النقاش الدينى بين المسيحية والإسلام .

يقول الفريد جيوم « إن مراكز الثقافة اليونانية الكبرى فى سورية ومصر وبلاد ما بين النهرين وفارس انتقلت إلى العرب فى خلال سنوات قلائل بعد وفاة الرسول ، وعلى ذلك كان من المحتم على المسلمين أن يكونوا على علم بطبيعة الفكر اليونانى ، وخاصة الفلسفة من خلال المناظرات والجدل الذى كان يحدث بينهم وبين رجال الديانات القديمة المتعددة ، وبسبب دخول الآلاف الذين كانوا يعيشون فى ظل الإمبراطوريات القديمة فى الإسلام (٢) » كذلك « لم يحس الناس بتردد فى مناقشة الخلافات الدينية بحرية تامة ، وربما كان من المعقول أن نفترض أن مثل هذا الاختلاط جعل المسلمين الدمشقيين على صلة بالمعلومات العامة عن اللاهوت المسيحى والفلسفة (٣) » وكان مما عرفوه الجدل الذى كان قد احتدم حول طبيعة المسيح قبل الإسلام مما كان سببا فى ظهور النزعات الفلسفية .

---

(١) انظر فى ذلك الدكتور محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص٦٣

(٢) الفريد جيوم : الإسلام ترجمة الدكتور محمد مصطفى هدارة ص١٢٤

(٣) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص٢١٢

يقول جورج كيرك (١) « فى أواخر عهد الأمويين ظهرت روح التحليل والتأمل فى منطوق الأحاديث ، فكان ذلك بداية لتكوين علم الفقه الإسلامى ، فإن الاطلاع على الأبحاث المسيحية التى هى أقدم عهدا من الإسلام ، والتى أشربت كثيرا من روح البحث والاستقصاء اليونانية قد أفضت ببعض المسلمين إلى التعمق فى النظر فى أسس دينهم لما رأوه من شدة الإجمال ، أو إحتمال الشبه التى لم يستطيعوا الاهتداء إلى حقيقتها من نصوص القرآن وحدها » ويمضى جورج كيرك فيقول « وقد نمى هذه الروح الجديدة فى الإسلام ما سبق أن عمل على تنبه مثلها بين المسيحيين ، وهو الجدل المحتدم بين الطوائف المتنازعة فى الرأى ، فاشتد النزاع فى الإسلام بين الشيعة وأهل (٢) السنة » .

ولقد كان للفلسفة اليونانية دورها فيما ثار بين الفرق الإسلامية من نقاش فلم تكن دراستها قد توقفت ، وإنما ظلت قائمة فى الأديرة والكنائس ، وكان الاهتمام واضحا بمنطق أرسطو حتى آخر الفصل السابع من التحليلات الأولى إلى آخر القياسات .

يقول أوليرى (٣) « ولقد غزا العرب العراق عام ٦٣٨ م ثم بلاد الفرس ٦٤٢ م ، وفى خلال أسقفية مربا الثانى كانت العراق وفارس

---

(١) جورج كيرك : موجز تاريخ العالم ص ٤٢

(٢) المرجع السابق ص٤٢

(٣) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ١٠٤

تحت حكم خلفاء بنى أمية فى دمشق ، ومن هذا يبدو واضحا أن الفتح العربى لم يوقف دراسة فلسفة أرسطو ولم يتدخل فى شئونهـا ، فبقيت فى الكنيسة النسطورية تحت الحكم العربى » .

ويقول ابن كثير « إن علوم (١) الأوائل دخلت إلى بلاد المسلمين فى القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم » والمقصود بعلوم الأوائل هنا العلوم الفلسفية اليونانية .

وقد أشرنا فيما سبق إلى ماقرره ابن أبى أصيبعة (٢) من أن الحارث ابن كلده الثقفى اطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة . ولكن هذا لا يعنى أن المسلمين تقبلوا المباحث الفلسفية واهتموا بها ، بل إنهم عزفوا عن دراستها وهجروها ، يقول حاجى خليفة « إن علوم الأوائل كانت مهجورة فى عصر الدولة الأموية (٣) » وهو يرى أن المسلمين كانوا يتهيبون دراستها « صونا (٤) لقواعد الإسلام وعقائد أهله عن تطرق الخلل .... قبل الرسوخ والاحكام » كذلك يرى ابن كثير أن دراسة الفلسفة لم تكثر فى المسلمين ، ولم تنتشر لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها (٥) » . وصاعد الأندلسى يقول « وأما علم الفلسفة فلم

---

(١) السيوطى : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص١٢

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١٠ ص١١٣

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤

(٤) نفس المرجع ص٣٣

(٥) السيوطى : صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ١٢

يمنحهم الله عز وجل شيئا منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به (١) » .

على أية حال لم تقبل العقلية العربية درس الفلسفة إما للحفاظ على الدين ، وإما لأن طبع العرب لم يكن قد تهيأ بعد لتقبل هذا العلم .

ولكن إلى جانب هذه الحقيقة يعود الباحث إلى ما أشار إليه منذ حين ، وهو أن الاختلاط الذى لم يكن مقيدا بين المسلمين والمسيحيين أتاح الفرصة للآثار الفلسفية من أن تنفذ إلى المسلمين . وفى وسعنا أن نتبين ذلك فى نشأة الفرق الإسلامية ، فلقد نفذت إليها المناقشات التى كانت مثار كثير من الجدل فى الفلسفة اليونانية وفى الديانة المسيحية (٢)، وأحدثت أثرها فيها ، وكان من نتيجة ذلك أن أخذت الفرق الإسلامية اتجاهاتها منها .

يقول أوليرى « فى البصرة بدأت الدلائل الأولى على أفكار المعتزلة مع شواهد على الأثر القوى من تأملات الإغريق الفلسفية على علم الكلام العربى (٣) » .

يقول دى بور « ولا شك أن مذاهب المتكلمين تأثرت بعوامل مسيحية أبلغ التأثر ، فتأثرت العقائد الإسلامية فى تكونها بمذاهب الملكانية

(١) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥١
(٢) انظر علم الأخلاق لأرسطو ترجمة أحمد لطفى السيد ٢٦٥ — ٢٨٦
— إيران فى عهد الساسانيين : ترجمة يحيى الخشاب ص ٤١١
— تراث فارس : الفصل الخاص بالدين فى فارس ص ٢٠٠
(٣) اوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢١٩

واليعاقبة فى دمشق ، كما تأثرت فى البصرة وبغداد بالمذاهب النسطورية والغنوسطية ، ولم يخلص إلينا إلا القليل من الآثار المكتوبة المتعلقة بتلك الحركة فى أوائل نشأتها ، غير أننا لا نخطىء الصواب إذا قلنا إن إختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم فى المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب فى الشرق فى تلك الأيام بالشيء الكثير ، بل كان الناس يأخذون عن أساتذتهم شفاها أكثر مما يتعلمون من الكتب ، ونحن نجد بين مذاهب المتكلمين الأولى فى الإسلام وبين العقائد المسيحية شبها قويا لا يستطيع معه أحد أن ينكر أن بينها اتصالا مباشرا ، وأول مسألة قام حولها الجدل بين علماء المسلمين هى مسألة الاختيار ، وكان المسيحيون الشرقيون يكادون جميعاً يقولون بالاختيار (١) » .

ولعل فى هذا ما يفسر نشأة فرقة القدرية متأثرة بهذه الأصول المسيحية . يقول المقريزى « كان أول من قال بالقدر فى الإسلام معبد ابن خالد ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصرى ، فتكلم فى القدر بالبصرة ، وسلك أهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله ، وأخذ معبد هذا الرأى عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالأسوارى (٢) » .

ويقول ابن العبرى إنه يمكن « أن يكون مذهب القدر نتيجة للأثر المسيحى اليونانى ، والقدرية هم أقدم فرقة فى الفلسفة الإسلامية ، ويمكننا أن

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٤٨ ، ٤٩

(٢) خطط المقريزى حـ٤ ص١٨١

نعرف مدى انتشار آرائهم إذا عرفنا أن اثنين من الخلفاء الأمويين وهما معاوية الثانى ، ويزيد الثانى كانا قدريين ، (١) .

ويؤكد أبو الفرج الأصفهانى تلقى مذهب القدرية عن المسيحيين ، ولكنه يعود بزمن التلقى إلى العصر الجاهلى ، فيذكر أن أعشى بكر أخذ القول فى القدر عن العباديين نصارى الحيرة ، لقنوه إياه حين كان يأتيهم ليشترى الخمر (٢) .

ويذهب الدكتور عبد الحكيم بلبع إلى أن ثمة روايات تعطينا حقيقة واضحة هى أن القول بالقدر انتقل إلى المسلمين بصفة مباشرة عن طريق الديانة المسيحية ، وأن فرقة القدرية التى تجمعت حول هذا القول ودانت به كانت مظهرا من مظاهر التأثير المسيحى فى التفكير الإسلامى (٣) .

---

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٩٠

— انظر تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٠٢

— « إن أقدم أثر آرامى بلغ الينا هو رسالة فى القدر كتبها مارا بن سرابيون الذى عاش فى الجيل الأول أو الثانى للمسيح ، وقد كان فيلسوفا وثنيا » أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ص ٤٠

— من المسيحيين الذين تكلموا فى القدر برديصان ولد عام ١٣٤ م ، وتوفى ٢٠٢ م ، وقد أنكر القدر ، وقال بالحرية ، وقد بقى كتابه فى القدر ، وقد طبع وترجم إلى عدة لغات أجنبية ، أدى شير : تاريخ كلدو وآثور ج ٢ ص ٢١ .

(٢) الأغانى : ج ٨ ص ٧٦ ط. القاهرة

(٣) أدب المعتزلة : ص ١٢٠ ، ص ١٢٣ وراجع قوله « فالقدرية أخذوا رأيهم فى القدر عن أصل مسيحى ، والجهمية أخذوا قولهم فى نفى الصفات وخلق القرآن عن أصول مسيحية ويهودية » ص ١٢٢ من نفس المرجع

ثم يمد الباحث نظره إلى مذهب المعتزلة فيفرض عليه رأيه ، ويقرر أن نشأة المعتزلة لم تكن بعيدة عن تأثيرات اللاهوت المسيحى الذى كان منتشرا فى بلاد المشرق ، كما أن مبادئهم كانت متأثرة بهذا اللاهوت(١) .

نحن نسلم بالمبدأ العام للتأثر ، فالظواهر الفكرية والحضارية لا يمكن أن تعيش فى معزل عن تيارات المجتمع الأخرى ، ولكننا نبدى تحفظا حول نقطة البدء لهذه الأفكار ، والأصل الذى خرجت منه ، وقد يبدو هذا التحفظ من حيث الشكل هينا ، ولكنه فى مجال البحث عن المنابع الفكرية قد يكون له شأنه . فما لاخلاف حوله أن النصارى (٢) الذين كانوا يعيشون فى الشام فى ظل الدولة الأموية قد أثاروا كثيراً من المناقشات الدينية ، وبخاصة فى دمشق عاصمة الخلافة كما أشرنا إلى ذلك فى أكثر من موضع ، فإذا أضيف إلى ذلك أن قصور الخلفاء كان فيها كثير من هؤلاء ، وكانوا يتولون مناصب كبيرة ، اتضحت خصوبة هذه المناقشات وأهميتها ، وأصبح من المحتمل أن نجد أشياء من الثقافة المسيحية قد تسربت إلى المسلمين ، ونصادف ظلالا لتعاليمهم تمتد لتبدو فى آراء الفرق الإسلامية التى استمدتها فى الأصل من مصادر إسلامية بحته ، ونقصد بها القرآن والسنة .

ويبدو أن يحى النحوى الذى كان يعمل هو وأبوه فى قصر عبد الملك بن مروان قد حمل عبءا كبيرا فى هذا المجال حيث نجد أنه قد

---

(١) الدكتور عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة ص ١٢٥

(٢) انظر أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٦ ، مطبعة الاعتماد - راجع ص ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ من هذا الكتاب

وضع كتابا للنصارى يستهدون به فى جدالهم مع المسلمين ، كما نجد (١) له أثرا كبيرا فى كثير من الأبحاث اللاهوتية التى أفاد منها المعتزلة .

فى هذا الإطار يجب الاتجاه إلى بحث الأثر المسيحى فى الجانب الفلسفى من الفكر الإسلامى وبخاصة فى هذه الفترة التى يتناولها البحث حيث لامغالاة تجعل بذور هذا الفكر غريبة على المسلمين ، دخيلة عليهم ، ولا شطط ينفى عوامل التأثير ، وينكر مظاهر التأثر ، فلئن قالت القــدرية بنفى القدر ، وحرية الإنسان وإرادته فى أفعاله ، وأنه مخير ، فإن القرآن قد اشتمل على آيات كثيرة ظاهرها الاختيار مثل قوله تعالى « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر (٢) » وإذا قالت الجبرية بإثبات القــدر وبأن الإنسان مجبر فى أفعاله ، ولا اختيار له فيها (٣) ، فإننا نجد فى القرآن آيات كثيرة تحمل هذا المعنى مثل قوله تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هــدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة » (٤) .

لماذا إذن لا يكون البدء من هنا ؟ وما المانع فى أن تكون هذه البذور الحية إسلامية الأصل ، ثم تهيأت لها الظروف فنما منها الفكر الفلسفى بعد أن تغذى بما استمده من الجدل مع المسيحيين ومناقشاتهم ، وبما أخذه المسلمون عنهم .

---

(١) راجع أثر يحيى النحوى فى المعتزلة فيما كتبه زهــدى جار الله فى كتابه « المعتزلة » ص ٢٧

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١١٠

ـــ جمال الدين القاسمى : تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٣

(٤) سورة النحل الآية ٣٩

كذلك إذا كان الكلام فى القضاء والقدر قد وجد فى الأديان بعامة ، فليس من الصواب بعدئذ أن نعد كل ما جاء من هـــذه الأفكار فى الإسلام نصرانى الأصل (١) ، وإنما الأمر كما ذكرنا ، فهى إسلامية فى مصدرها ، أما المؤثرات التى تناولتها فقد صاحبتها فى نشأتها ، وكان لها دورها فى الوجهات التى اتجهت إليها ، ولعل الدكتور عبد الرحمن بدوى يزيد أبعاد هذا الموقف إيضاحا بقوله « ليس لنا أن نلتمس الأسباب التى دعت إلى نشأة هـذه الفرق أو تلك الأخرى فى مذاهب اليونانيين أو المذاهب الأجنبية ، وإنما الواجب علينا أن نلتمسها وما قالت به من نظريات وآراء فى « كلمة » الله نفسها أى فى القرآن ، فمنه هو لا عن المذاهب الفلسفية اليونانية صدرت الفرق الإســـلامية المختلفة ، وكان البحث فيه هو نقطة البدء فى نشأة كل فرقة من الفرق ، أما تأثر الفرق بالمذاهب الأجنبية فكان لاحقا على نشأتها ، ويجب ألا يغالى فى أهميته وأن يتجه الباحث إلى القرآن أولا يلتمس فيه هو وما يجر إليه نصه من نظر وأبحاث أصول الفرق والآراء (٢) » .

---

(١) راجع احمد أمين : ضحى الإسلام ص ٣٤٦ مطبعة الاعتماد

(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية : المقدمة ح .

الباب الخامس

حركة النقل في العصر العباسي

الفصل الأول

أسباب الترجمة

لما جاء العصر العباسى كان المسلمون قد أمعنوا فى التمدن ، « ورأوا أن حياة الحضارة لابد أن تستند إلى العلم ، فمالية الدولة تحتاج إلى حساب دقيق ، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج إلى أدوية مركبة ، وعلاج مركب »(1) وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين مازالت مركزا للثقافة ، ومصدرا للاشعاع العلمى ، كما كانت تموج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخذت الأنظار تتجه إليها تسائلها العون ، وتناشدها المساعدة . وكان المنصور قد أدركه ضعف فى معدته ، وأصابه سوء استمراء ، وعجز معالجوه عن مداواته ، فجمع الأطباء ، وقال لهم : « أريد من الأطباء فى سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما فى عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور ، فإنه ماهر فى الطب ، وله مصنفات جليلة ، فتقدم المنصور بإحضاره فأنفذه العامل بجنديسابور إلى حضرة الخلافة بعد ما امتنع عن الخروج .... ولم يزل جورجيس يتلطف له فى تدبيره حتى برىء المنصور ، وعاد إلى الصحة ، وفرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب إلى كل مايسأل »(2) .

---

(1) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٦٥

(2) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٠٩ ، ١١٠ ط . السعادة

— ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢١٤

— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ١٢٣ ط . الوهبية

وقد ظل جورجيس (١) فى خدمـــة المنصور حتى تقدمت به السن ، وبنى له مستشفى (٢) على طريقة مستشفى آل بختيشوع بجنديسابور (٣).

وعندما جـاء المهدى استقدم بختيشوع (٤) من جنديسابور ليعالج ابنه الهـــادى ، ولكن الخيزران عز عليها أن يستدعيه المهدى ، ولا يستطب أبا قريش طبيبها الذى كان يعرف بعيسى الصيدلانى ، (٥) فكان ذلك سببا فى أن يعيده المهدى إلى جنديسابور .

وفى أيام الرشيد أصابه صداع شديد ، وعجز أطباؤه عن مداواته ، فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر وقال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء

---

(١) كان جورجيس من السريانيين الذين ينتمون إلى طائفة النساطرة .
انظر إسرائيل ولفنسون : اللغات السامية ص ١٤٦

(٢) عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٨

(٣) « آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جدها هـــذا سريانى بمعنى حظ يسوع . ويروى أن لها بقية فى بغداد وهم بنو غنيمة ، وفى الصالحية « آل الحكيم » وفى دمشق آل لطفى وآل منعم .

عيسى معلوف : الأسر العربية المشتهرة بالطب العربى ص ٦

— يرى ابن أبى أصيبعة أن معنى بختيشوع عبد المسيح لأن فى اللغـــة السريانية البخت العبد ، وعنده أن البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد

من تعقيب ابن العبرى فى كتابه : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦

(٤) انظر ترجمة بختيشوع عند القفطى : أخبار الحكماء ص ٧١

(٥) راجـع أخبـار عيسى الصيـدلانى : ابن العـــبرى : مختصر تـاريخ الدول ص ٢٢٠ .

كُلهم ، وله يسمعون ويطيعون » (١) وقد ذكر صاعد الأندلسى أن « بختيشوع له تآليف فى الطب معروفة ، منها كتاب التذكرة ، وقد عمله لابنه جبريل » (٢). وبعد موت بختيشوع ، خلفه ابنه جبريل ، وقد قام على علاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، كذلك برئت جارية للرشيد بحيلة (٣) لطيفة استعان بها ، كما شفى الرشيد على يديه من مرض ألم به مما دفعه إلى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه .

ولقد كان للنجاح الذى أحرزه هؤلاء الأطباء أثره فى المكانة التى وصلوا إليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة « كانوا يعظمونهم لقدر علمهم لا لدينهم » (٤).

وقد ذكر القفطى أن « يحيى بن خالد البرمكى أحب جبريل عندما عالجه مثل نفسه ، وكان لايصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب (٥) » .
كذلك ذكر ابن أبى أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٢٦، ١٢٧
— انظر ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦
(٢) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠
— انظر القفطى : أخبار الحكماء ص ٧١
(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٤
— الحموى : ثمرات الأوراق جـ ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧
— ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦
(٤) عيسى معلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣
(٥) أخبار الحكماء ص ٩٣
— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٧

منه ، ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له إلى حاجة فليخاطب بها جبريل لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى»[١] . وقد ظل جبريل على هذه المكانة العالية فى عهد المأمون « فكان كل من تقلد عملا لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلق جبريل ويكرمه »[٢] .

وكما عمل نجاح هؤلاء الأطباء على تقريبهم إلى الخلفاء . كذلك استرعى الأنظار إلى ما كانوا عليه من علم غزير ، فاتجه الاهتمام إليه ، وتولدت الرغبة فى الاشتغال به ، والبحث فيه ، ونقله إلى اللغة العربية .

يقول حاجى خليفه « إن أول من عنى من العباسيين بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور »[٣] ، وقد دفعته هذه العناية إلى أن يرسل إلى إمبراطور بيزنطه يطلب منه ما لديه من الكتب اليونانية ، فأجابه إلى طلبه ، وأرسلها له ، ومن بينها كتاب إقليدس »[٤] .

وقد ذكر السيوطى « أن المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية باللغة العربية »[٥]

وقد أسس الرشيد دار الحكمة ، كما أرسل رسله إلى

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص ١٢٧
(٢) نفس المرجع حـ١ ص ١٢٩
(٣) حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٢٤
— انظر صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٥
— انظر ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٣٥
(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١
(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٠

الإمبراطورية (١) الرومانية لطلب المخطوطات ، ووضع يوحنا بن ماسويه أمينا على ترجمتها .

ولما جاء المأمون ، كانت حركة الترجمة قد بلغت ذروتها من حيث النشاط والدقة ، فزاد الاهتمام بدار الحكمة ، وأرسل إلى « ملك الروم يسأله الإذن فى إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل (٢) » .

وضح إذن أن الحاجة الماسة المباشرة هى التى ألجأت الخلفاء العباسيين إلى استخدام أطباء جنديسابور للاشراف على علاجهم ، فلما تقدمت صحتهم ، وشفوا من أمراضهم ، عرفوا فضل الثقافة الأجنبية والنتائج الطبية التى يمكن أن تحققها لهم ، فشغفوا بها ، وأقبلو على تعريب كتبها .

يقول جوستاف جرونيباوم « كانت العلوم المختلفة فى القرون الوسطى فى الشرق والغرب تعالج برغبة واحدة أساسها حب المعرفة والاستطلاع ، وإن لم يكن من الضرورى أن تلقى نفس الدرجة من الاحترام ، ويلوح أن العرب كانوا يبدون رشادا أعظم ، وتعقلا أمتن فى اختيارهم لما

---

(١) راجع أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص٢٤٠

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٣ مطبعة الاستقامة

— انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١ـ ص١٨٧

يدرسون من أمور (١) .

وإذا كانت الحاجة وحدها هى التى دفعت إلى نقل المعارف الطبية ، فإن الأمر نفسه قد حدث فى ترجمة الكتب الفلسفية والمنطقية . لقد كان عزوف المسلمين عن ترجمة الكتب الفلسفية فى صدر الإسلام واجتهاد الخلفاء فى ألا يشيع شىء منها مبنيا على إحساسهم بأن بعض مبادئها قد لا تتفق مع المعتقدات الدينية ، وهم حديثو العهد بالإسلام.

يقول حاجى خليفة « كان المقصود من المنع هو إحكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام » (٢) .

وحين جاء العصر العباسى كانت دعائم الإسلام قد ثبتت وتوطدت ، وأصبحت عقائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم ، فتغيرت المكانة التى كان يضع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها .

لقد وجدوا أنهم فى حاجة إلى البحث فيها ودراستها ، والتزود بما تتيحه من وسائل فى الجدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم ، والدفاع عن الإسلام .

يقول حموده غرابة « حين وجد المعتزلة النساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الإغريقية التى عرفوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية ، رغبوا هم أيضا فى أن يتسلحوا بها ، فاستعانوا بالمنصور فى ترجمة المنطق الأرسطى ، وهكذا كان المنطق أول علم من علوم

(١) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٤١
(٢) حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤

الفلسفة بمعناها الضيق حصل له اشتباك بعلم الكلام الإسلامى (١) » .

وقد تنبه القدماء إلى هذا الاتجاه ، يقول المقريزى « أقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليهـــا ، كتب الفلاسفة ، وأكثروا من النظر فيها ، والتصفح لها » (٢) .

ويقول صاعد الاندلسى « إن أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة علم المنطق والنجوم » (٣) .

ويذكر هنيرش بيكر أن الإسلام تعرض فى هذا العهد إلى هجمات الغنوص « وفى هـذا النضال استعـان الإسلام بالفلسفة اليونانية ، وعنى بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية يشبه عالم العصر المدرسى فى أوربا فى العصور الوسطى ، فكأن الإسلام الرسمى قد تحالف اذا مع التفكير اليونانى والفلسفة اليونانية ضـد الغنوص الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص » (٤) .

ومن هذا يتبين أن الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعان بها المسلمون بعامة والمعتزلة بخاصة فى نصرة الإسـلام ، ويزيد ذلك تأكيدا مايذكره الخياط فى قوله : « ولقد أخبرنى عدد من أصحابنا أن إبراهيم النظـام رحمه الله ، قال وهـو يجود بنفسه : اللهم إن كنت تعلم أنى لاأقصر فى

---

(١) حمودة غرابة ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٢٦

(٢) المقريزى : خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٥٧

(٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٦

(٤) هنيرش بيكر : تراث الأوائل فى الشرق والغرب . ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١١

نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهبـــا من المذاهب اللطيفه إلا لأشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف ، فأنا منه برىء ، اللهم إن كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت »[1] .

ولقد أشار إلى ذلك الشيخ محمـــد عبده فى قوله « تفرقت السبيل بأتباع واصل ، وتناولوا من كتب اليونان مالاق بعقولهم ، وظنوا من التقوى أن تؤيد العقائد بما أثبته العلم »[2] .

ولعل هـــذه النقطة التى انتهينا إليها تزداد وضوحا لو أننا عدنا إلى دراستها دراسة جذرية تستهدف التعرف على طبيعة المواقف المماثلة وماتؤدى إليه من لنتائج متشابهة ، إذ أن محاولة تطبيق المبادىء الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر العبـــاسى ، كذلك لم يكن المسلمون هم أول من حاولوا التوفيق بين العلم والدين ، فلقد شغلت هذا المسائل جانبا كبيرا من تفكير اليهود والمسيحيين قبلهم ، « ولقد كان أفلاطون وأرسطو قد سادا على كل تفكير منظم ، وما كان بد من تأسيس فلسفة يهودية ، وفلسفة مسيحية ، ثم بعدئذ فلسفة إسلاميـــة للتوفيق بين العقل والدين » [3] .

ولقد حاولت الفلسفة اليهودية ذلك فى الإسكندرية على يد فيلو ، وفى القرن الخامس ثار نقاش حول شخصية المسيح ، مهد السبيل إلى

---

(١) الخياط : الانتصار ص ٤١
(٢) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ١٥
(٣) بول ماسون أورسيل : الفلسفة فى الشرق ترجمـــة محمد يوسف موسى ص ٤٣

إشاعة المعرفة بكثير من المشكلات الفلسفية ، ذلك لأن فلسفة أفلاطون وأرسطو ، هى التى كانت توجـــه المناقشات التى أثارها فى الكنيسة آريوس ونسطور ويوتيخيس وآخرون ، كما أنها هى التى اقترحت المسائل التى بحثت ، كذلك كانت الحلول التى خرج بها المتناقشون بمثابة نتائج لهذا التناول الفلسفى ، (١) .

وليس من شأننا هنـــا أن نخوض فى ذكر المذاهب الدينية التى ثارت حولها هذه المناقشات ، ولكن هـذا لايعنى أننا لانعطيها أهميتها ، أو نقلل من شأنها ، فقد يكون من اليسير على الباحث الحديث أن يسخر من هــذه المناقشات العنيفة التى دارت حول تفصيلات التحديد الفلسفى ، ولكن الأساس الحقيقى لهذا الموضوع كان يقوم على مشكلة التوفيق بين العلم والدين ، وقد ذهب قادة الكنيسة إلى أن هذا يستطاع ، ويجب أن يحدث ، فإذا كان العـلم - كما كان يفهم فى هــذه الفترة - والدين كلاهما صحيح ، فإنه ينبغى أن يتفقا فى كل الاعتبارات ، وتجسد الله فى المسيح ينبغى أن يخضع للدرس العلمى ، وكان المفروض حينئذ أن العـلم هو الغاية ، ولم يكن يشك أحد فى هذه الأيام أن المعرفة العلمية جزئية متزايدة (٢) ، .

ويعنينا هنا إلى جانب بيان أن المسيحيين حاولوا التوفيق بين العـلم والدين فى مناقشاتهم حول شخصية المسيح أن نشير إلى أنه ، وربما كانت أبرز نقطة هى اتخاذ المنطق الأرسطى وسيلة للبحث والمناظرة ، ومع

---

(1) Oleary : How Greek science passed to the Arabs P 45

(2) Oleary : Arabia before Muhammad P131.

أن الطوائف المسيحية اختلفت فى عقائدها إلا أنها كلها قد قبلت منطق أرسطو كطريقة تستخدم فى البحث والجـــدل (١) ، كذلك استعانت المسيحية بالفلسفة فى رد آراء المعترضين عليها حتى أننـــا لنرى سمات التفكير الفلسفى عند كثير من القساوسة . ولقد عرض لذلك أ. وولف فقال : « وجدت المسيحية لكى تصد حملات النقاد المهاجمين من المستحسن أن تستخدم شيئا من الجدل الفلسفى ، ومن هذا كانت الكتابات المؤيدة للمسيحية التى كتبت فى عصر آباء الكنيسة مصبوغة بشىء من الأفلاطونية ، وبعض مذاهب الأفلاطونية الحديثة كالكلمة ، وزيادة على هـــذا كان بعض القساوسة الأولين وخاصة سانت أوجستين (٣٥٤ — ٤٣٠ م) مفكرين وثنيين قبل أن يصيروا مسيحيين مؤمنين ، ولم يستطيعوا التخلص كلية من مناحيهم الفلسفية » (٢) .

وحين أراد السريان الذين كانوا يعيشون فى منطقة النفوذ الفارسى نشر المسيحية بالشكل النسطورى « كان لا يمكنهم ذلك طبعا بغير مساعدة العـــلم النظرى ، والفلسفة اليونانية ، فلسفة أرسطو وأفلاطون ولاسيما منطق أرسطو الذى هو الأداة الثمينة للجدل والمناظرة ، فتحتم على كل مبشر منهم أن يكون ذا علم وإلمام بفلسفة اليونان » (٣) بل إن كل مبشر أصبح معلما للفكر الأرسطاليسى الحديث الذى تقوم عليه المناقشات ،

---

(1) Oleary : How Greek science passed to the Arabs P46.

(٢) أ وولف : عرض تاريخى للفلسفة والعـلم ص ٤٥ - ترجمة محمـد عبد الواحد خلاف .

(٣) الدكتور أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٧٢

والذى بدونه لايستطاع فهم مرماها مما أدى إلى قيام حركة نقل كبيرة تستهدف ترجمة كتب أرسطو وغيرها من كتب الفلسفات والرياضيات .

وجدنا إذن أن الفلسفة طبقت على الدين قبل الإسلام ، كما استخدم المنطق فى الجدل الدينى ، وعرف المسيحيون بوجه خاص أهميته فى نصرة آرائهم . فلما جاء العصر العباسى واحتدم النقاش بين الفرق الإسلامية ، أقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم على كتب الفلاسفة ، وأكثروا من البحث فيها ليستعينوا بما تتيحه لهم من ثقافة ومعرفة فى مناقشاتهم ، وفى ردهم على خصومهم من أهل الأديان الأخرى ، ولم يكن الاطلاع على هذه الكتب ميسراً لعدم معرفة هؤلاء باللغة اليونانية ، لذا كان عليهم أن يعتمدوا على الترجمات التى يقوم بها من يقدر عليها .

يقول الدكتور إبراهيم العدوى « ومما يجدر بالملاحظة فى هذا الصدد أن معظم الذين اضطلعوا بترجمة الكتب اليونانية كانوا من السريان أى المتكلمين باللغة الآرامية الشرقية »(١) .

ويقول دى بور « والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعا يكونون من السريان ، ونقلوا ما نقلوه إما عن التراجم السريانية القديمة ، أو عن تراجم أصلحوها ، أو قاموا بها من جديد »(٢) .

ويقول جويدى « ومن الجيل الثانى للهجرة إلى الرابع نقلت كتب اليونان إلى السريانى ، ومن السريانى إلى العربى لأن السريان كانوا

(١) الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٧٠

(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٨

يتملدون اليونانية والعربية فى مدارسهم ، ولقد كان للسريان اليد الطولى فى هذا النقل » (١) .

رأينا أن الرغبة فى سلامة الأبدان ، ونصرة الدين هى التى دفعت إلى نقل المعارف الطبية والفلسفية . ومما يؤكد ذلك « أن هـذه الحركة العلمية والأدبية لم تستغل الأدب اليونانى كما استغلت العـــلم اليونانى والفلسفة اليونانية استغلالا كبيراً ، فلم ينقل المسلمون ملاحم اليونان ، ولارواياتهم التمثيلية ، ولا شعرهم ولا سائر فنونهم الأدبية » (٢)

وقد علل البعض ذلك (٣) « بأن المسلمين لم يتذوقوا الأدب اليونانى لبعده عن الذوق العربى ، ولأنه مملوء بالآلهة التى تنفر منها عقيدتهم ، ولأن البيئة اليونانية الاجتماعية التى أنتجت أدبهم مخالفة تمام المخالفة للبيئة الإسلامية مما يجعل تذوقه عسيرا » .

ولكن هذه الأسباب مجتمعة ما كانت لتستطيع أن تسد المنافذ دون هذا الأدب لو أن المسلمين فى هذه الفترة أحسوا بحاجة ما اليه .

والواقع أن السبب الذى حال دون ترجمة الأدب اليـونانى يتركز فى إحساس العرب الفطرى بتفوقهم فى مجـال البيـان ، وشعورهم بأنهم دون سواهم قد أوتوا الامتياز فى الشعر ، فهـم ليسوا فى حاجـة إلى أدب غيرهم .

يقول الجاحظ . . « وفضيلة الشعر مقصورة على العـرب ، وعلى من

(١) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ١٠

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود : قصة الأدب فى العالم ج١ ص

(٣) المرجع السابق .

تكلم بلسان العرب ، والشعر لا يستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل(١).

ولم تقم حركة الترجمة استجابة لدافع الحاجة الملحة وحده ، وإنما كانت هناك أسباب أخرى استحثت المسلمين على الاشتغال بها ، فقد كانت اللغة العربية تنتشر بانتشار الإسلام ، وحين جاء العصر العباسي كانت قد تغلبت على ألسن أهل البلاد التي دخلت فيها ، وأصبحت لغة الإنشاء والتأليف .

يقول نالينو : « إن وحدة الدين استوجبت أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة في التمدن الإسلامي الجديد »(٢)

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء في العصر العباسي إلى العلوم الفلسفية ، « والخلفاء عادة أقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون إلى تحقيق أغراضهم ، والولوع بما أولعوا به »(٣) .

يقول ابن خلكان « كان المأمون مغرما بتعريب الكتب وتحريرها وإصلاحها »(٤).

ويقول صاعد الأندلسي « لما أفضت الخلافة إلى عبد الله المأمون طمحت نفسه الفاضلة إلى إدراك الحكمة ، وسمت به همته الشريفة إلى

---

(١) الجاحظ : الحيوان ج١ ص ٧٤

(٢) نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ص ٢٦٦

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص ٢٠٩

الإشراف على علوم الفلسفة » (١) .

ويقول صاحب فوات الوفيات « لما كبر المأمون عني بعلوم الأوائل ومهر في الفلسفة » (٢) .

ويقول الدكتور أحمد الرفاعى « إن هذا الميل إلى الفلسفة والمنطق عند المأمون كان من آثاره حركة نقل وتأليف عنيفة قوية (٣) » ولقد تولد ميل الخلفاء إلى الفلسفة من الظروف التى لابست نشأتهم وحياتهم . فالرشيد تلقى ثقافته فى مرو موطن الدراسات الرياضية والفلكية ، وكان يستوزر جعفر بن برمك الذى كان يشجع الترجمة ، ويعين المترجمين من أمثال جبريل بن بختيشوع ، كما تربى المأمون فى بيت الرشيد وبإشراف البرامكة ، ويذكر أوليرى « أنه لكون المأمون تلقى ثقافته فى مرو فى محيط الهليفية المحدثة طبق القواعد الفلسفية على العقائد الإسلامية (٤) » .

وقد أولع أهل ذلك العصر بما أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على تنشيط حركة النقل والترجمة ، « وممن عنى بإخراج الكتب محمد وأحمد بنو موسى بن شاكر ، وهولاء القوم ممن تناهى فى طلب العلوم القديمة ، وبذل فيها الرغائب ، وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا إلى بلد الروم

---

(١) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٥٨

— انظر حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤

— انظر ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

(٢) فوات الوفيات جـ١ ص ٢٣٩

(٣) الدكتور أحمد الرفاعى : عصر المأمون ص ٣٧٨

(٤) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٣

من أخرجها إليهم ، فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السنى ، فأظهروا عجائب الحكمة ، وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم [١] ، وبلغ من اهتمامهم بأمر الترجمة أنهم كانوا « يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم فى الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة » [٢] .

وإذا كانت دوافع الترجمة قد اتضحت لنا فيما عرضنا له من أسباب ، فإنه يكون من حقنا ألا نقتنع بما يسوقه صاحب الفهرست وهو يفسر اندفاع المأمون فى ترجمة الكتب اليونانية فقد قال : « إنه رأى فى منامه رجلا أبيض اللون ، مشربا حمرة . . . جالسا على سريره . قال المأمون : وكأنى بين يديه قد ملئت له هيبة . فقلت من أنت ؟ ! قال أنا أرسطاليس ! ، فسررت به وقلت : أيها الحكيم ! أسألك ؟ قال : سل . قلت : ماالحسن ؟ قال : ماحسن فى العقل . قلت ثم ماذا ؟

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٢ و ٢٩٣ مطبعة الاستقامة
ـ انظر أيضا ص ٣٥٣ من نفس المرجع
ـ القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٠٨
ـ تاريخ أبى الفدا جـ٢ ص ٥٢
ـ ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٩٤
ـ جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٧٧ ، ٧٨
(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ مطبعة الاستقامة
ـ ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٨٧

قال : ماحسن عند الجمهور . قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . فكان هذا المنام من أوكد الأسباب فى إخراج الكتب [١] » .

وقد ترددت هذه الرواية عند كثير من المؤلفين القدماء [٢] والمحدثين مع تغيير فى بعض الألفاظ .

وتأثر جوستاف جرونيباوم بهذه الرواية ، فذكر أن « المأمون بعد أن رأى هذا المنام عزم على طلب الكتب من الإمبراطور ، فوافق الإمبراطور على الطلب بعد شىء من التسويف ، وعند ذلك أرسل المأمون بعض العلماء إلى القسطنطينية للحصول على المخطوطات ، وأرسل فيمن أرسل سلما صاحب دار الحكمة » [٣] .

هذا المنام لا يرقى فى نظرنا إلى أن يكون سببا يدفع المأمون إلى الاهتمام بأمر الترجمة ، فهو بعيد عن الحقيقة ، ومن المستحيل ألا يسمع المأمون باسم أرسطو حتى يأتيه فى المنام ويقول له أنا أرسطو [٤] ، وفضلا عن ذلك ، فإن هذه الرواية تحتمل الصدق والكذب [٥] » .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٣ مطبعة الاستقامة

(٢) راجع القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٨٦

— انظر الدكتور أحمد الرفاعى عصر المأمون ص ٣٧٨

(٣) جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ص ٧٧

(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ص ٢٦٨

(٥) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ص ٩

الفصل الثانى

ميادين الترجمة والعاملون فيها

أشرت من قبل إلى أن حركة النقل والترجمة بدأت فى عهد المنصور من اليونانية والسريانية ، وينقسم تاريخ هذه الحركة إلى ثلاثة أدوار .

الدور الأول : من خلافة أبى جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد (١٣٦ — ١٩٣ هـ) وممن قاموا بالترجمة فيه يحيى بن البطريق وجورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماسويه .

الدور الثانى : من ولاية المأمون سنة ١٩٨ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ وممن اشتهروا فيه : قسطا بن لوقا البعلبكى ، وحنين بن إسحق ، وابنه اسحق بن حنين ، وثابت بن قرة ، وحبيش بن الحسن .

الدور الثالث : من سنة ٣٠٠ هـ إلى منتصف القرن الرابع ومن مترجميه متى بن يونس . وسنان بن ثابت بن قرة ، ويحيى بن عدى وأبو على بن زرعة .

غير أن هذا التقسيم يجب ألا يعنى أن هناك حدودا فاصلة تضع البداية والنهاية لكل دور ، فالظواهر الفنية ، والحركات الأدبية متداخلة متشابكة ، وفضلا عن ذلك فإننا نجد الكثيرين ممن قاموا بالترجمة والنقل قد عاصروا أكثر من دور من تلك الأدوار . فيوحنا بن ماسويه (1) مثلا قد خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

---

(١) انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٧٥

والآن نعود الى تفصيل القول فى حياة المترجمين ، وجهودهم فى حركة النقل.

يوحنا بن البطريق : عاش فى أيام المنصور ، واختلف فى تاريخ وفاته فيما بين عام (٧٩٨ م وعام ٨٠٦م) ، وكان ممن يقـــرأ عليهم كتاب إقليدس ،، وغيره من كتب الهندسة ، وله نقل من اليونان (١) »

ذكره القفطى فقال « كان أمينا على الترجمة ، حسن التأدية للمعانى ، ألكن اللسان فى العربية ، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب ، وهو تولى ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة ، وترجم من كتب بقراط مثل حنين (٢) وغيره ، ومن الكتب التى نقلها كتاب الاربعة فى علم النجوم(٣) « استخرجه فى أيام المنصور ، ثم نقله ثانية إبراهيم بن الصلت ، وأصلح هذه النسخة حنين بن إسحق » .

ويرى أوليرى (٤) أن يوحنا وضع ترجمة عربية لمؤلف فى التنجيم لبطليموس ، وقد كتب عمر بن الفرخان المتوفى حوالى ٨١٥ م تعليقا على هذا الكتاب ، وشرحه محمد بن جابر بن سنان ٩٢٩ م . وربما كان هذا هو كتاب الأربعة فى علم النجوم .

ويروى أن يوحنا بن البطريق « أخرج قصة طيماوس لأفلاطون ،

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٠٧ مطبعة الاستقامة

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤٨ مطبعة السعادة

ـــ ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٩

(٣) جويدى : محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عندالعرب ص١١

(٤) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص ٤٧ وانظر ص ٢٣٩ من نفس المرجع

وأنه ترجم أيضا كتاب أرسطو فى الآثار العلوية وكتاب الحيوان ، ومختصرا له فى النفس » (١) .

جورجيس بن جبرائيل (٢) : عاش فى صدر الدولة العباسية ، يقول عنه ابن أبى أصيبعه أنه « أول من ابتدأ فى نقل الكتب الطبية إلى اللسان العربى عندما استدعاه المنصور ليعالجه (٣) » من ضعف أدركه فى معدته وسوء استمراء ، وقلة شهوة ، وقد برىء المنصور على يديه ، وعادت إليه صحته ، ففرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل (٤) .

وقد نقل جورجيس للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية ، وقد عرف من كتبه كناشه (٥) ، ونقله حنين ابن إسحق من السريانى إلى العربى .

ولقد كان نجاح جورجيس فى علاج المنصور دافعا للخلفاء العباسيين

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٢

ـ أشار القفطى الى ترجمته لهذه الكتب بقوله « ولابن البطريق جوامع هذا الكتاب « الآثار العلوية » « كتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة نقله ابن البطريق » أخبار الحكماء ص ٣١

(٢) انظر ترجمته : ابن النديم الفهرست ص ٤٢٩

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٣

ـ أنظر ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٥

(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٠

(٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٥

على أن يستقدموا أفراد أسرته لكي يباشروا علاجهم ، ومن أفراد هذه الأسرة ونعنى بها أسرة آل بختيشوع الذين وفدوا إلى بغداد .

بختيشوع بن جورجيس (١) : وله تآليف فى الطب ، منها كتاب التذكرة وقد عمله لابنه جبريل .

وجبريل بن بختيشوع : وقد اهتم بأمر الترجمة إلى العربية كما شجع تهذيب الترجمات السريانية .

يوحنا بن ماسويه (٢) (توفى ٢٤٣ ه = ٨٥٧ م) وكان ممن قدموا من جنديسابور ، ومن هذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا إلى قصور الخلفاء فى بغداد أو سرمن‌رأى ، (٣) .

وكان يوحنا سريانيا نسطوريا ، وقد ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التى وجدت بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون ، وسبوا سبيها ، ووضعه أمينا على الترجمة ، ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه ، (٤) .

وقد أقام يوحنا مستشفى فى بغداد ، كذلك جعله الخليفة المأمون فى سنة ٢١٥ ه = ٨٣٠ م رئيسا لبيت الحكمة .

---

(١) راجع أخباره . القفطى : أخبار الحكماء ص ٧١
— صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠
(٢) راجع ترجمة ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ ، ٤٢٦
(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٦ .
(٤) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤٩
— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥

وقد ألف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا (١) منها كتاب البرهان وكتاب دغل العين . وعربية هذا الكتاب ركيكة مع استعمال اصطلاحات إغريقية وسريانية وفارسية » (٢) .

وكان يوحنا « يعقد مجلسا للنظر ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ، ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون (٣) » وقد تتلمذ عليه حنين بن إسحق فترة من الزمان .

قسطا بن لوقا البعلبكى « توفى حوالى ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م » : مسيحى النحلة ، من أصل يونانى . ولذا يعد (٤) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان له ولع بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهرا فى الطب .

وقد ذكر ابن العبرى أنه « دخل إلى بلاد الروم ، وحصل من تصانيفهم الكثيرة ، وعاد إلى الشام (٥) كما ذكر القفطى أنه « استدعى

---

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤٩
— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٣
— ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦
— ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين : المقدمة ص ٦
(٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧
(٤) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٣٠
(٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٩
— القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤

إلى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونان إلى لسان العرب [١] ، كما أسند إليه الإشراف على ترجمة المراجع الإغريقية فى بغداد [٢] .

وكان قسطا جيد النقل لأنه كان « فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة العربية [٣] » ويشير ماكس مايرهوف إلى ما نقله فيقول « إنه ترجم كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم إلى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة أو منحولة [٤] » .

وقد أصلح [٥] قسطا نقولا كثيرة ، كما ألف « رسالة قصيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت إلى اليونانية ، وبقيت إلى أيامنا ، وقد ذكرها الباحثون وانتفعوا بها [٦] » .

حنين بن إسحق (ولد سنة ١٩٤ هـ = ٨١٣ [٧]) وتوفى ٢٦٠ هـ =

---

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٧٣

(٢) راجع الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٧٠

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٤

(٤) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٩

(٥) راجع ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ٢٤٤

(٦) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٤

— وردت هذه الرسالة ضمن ماذكره له القفطى من الكتب. أخبار الحكماء ص ١٧٣

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ ويتبعه فى ذلك القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٩

— أبو الفدا : ج٢ ص ٥٢

— ولكن ابن ابى أصيبعة يجعل وفاته ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ١٩٠

٨٧٣م) وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة ، وكان يشتغل بالصيدلة فلما نشأ حنين أحب العلم ، ودرس الطب فى مدرسة جنديسابور ، وحضر مجالس يوحنا بن ماسوية فى بغداد (١) ، غير أن يوحنا أنكر عليه تعلم الطب لأنه من أهل (٢) الحيرة ، ولأن هؤلاء الجنديسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ، ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم(٣) ، ويرى ماكس مايرهوف أن حنينا كره من أستاذه ماجبل عليه من

= — ويرجح رأيه ماكس مايرهوف فى مقدمة (كتاب العشر مقالات فى العين) ص ٢٧

— ولكن أوليرى يرى أن ابن أبى أصيبعة فى الغالب غير دقيق فى ذكر التواريخ . مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠

— يرى أوليرى أن حنينا حضر فى شبابه محاضرات ابن ماسوية فى جنديسابور ، مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦

(٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

— اقرن ذلك بقول ظهير الدين البيهقى عن حنين ، وكان بغدادى المولد وقد نشأ بالشام وتعلم بها ، تاريخ حكماء الإسلام ص ١٦

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠

— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٨٥

— ثم صلح بين حنين و بين يوحنا بن ماسوية بعدذلك . أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

— راجع صلة حنين بعد نبوغه بابن ماسوية والكتب الكثيرة التى نقلها له ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٨٦

غطرسة وكبرياء (١) ، وصمم على تعلم اللغة اليونانية لأنه رأى فيها خير مساعد له على إرواء غلته من الثقافة الطبية ، وقد اندفع بقوة فى هذا الاتجاه حتى أنه « برىء من دين النصرانية إن رضى أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليونانى إحكاما لايكون فى دهره من يحكمه إحكامه (٢) » فسافر إلى بلاد الروم (٣) وهناك « أحكم اللغة اليونانية وتوصل فى تحصيل كتب الحكمة غاية إمكانه (٤) » .

وكما تعلم حنين اللغة اليونانية بإحساس من الحاجة إليها ، كذلك نجد أنه « وهو أحد أبناء الحيرة اضطر إلى تعلم العربية فى وقت متأخر من من حياته حيث كانت الطبقات الدنيا فى الحيرة تتكلم السريانية » (٥) فقصد البصرة وكانت فى ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية

---

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة كتاب العشر مقالات فى العين ص ١٥

(٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ١٨٥

— القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠

(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٩

— أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

(٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .

— اقرن ذلك بقول ماكس مايرهوف عن حنين أنه أمضى فى مكان مجهول سنوات عدة حذق فيها اللغة اليونانية » .

— مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٥) أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٩ ،

وملتقى أقطابها ، يقصدها الطلاب من كل حدب ليحذقوا ويفهموا [١] ، وهناك لزم الخليل بن أحمـد حتى برع فى اللسان العربى ، [٢] وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربعا هى [٣] الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التى هى لغته الأصلية . ولقد أعانه ذلك على أن ينقل الكتب إلى السريانى وإلى العربى .

وحوالى سنة ٢١١ هـ اتصل حنين بجبريل بن بختيشوع طبيب المأمون فامتدح ذكاءه ، قال يوسف الطبيب دخلت يوما على جبريل بن بختيشوع فوجدت عنده حنينا ، وقد ترجم له بعض التشريح وجبريل يخاطبه بالتبجيل ويسميه الرهبان ، فأعظمت مارأيت ، وتبين ذلك جبريل منى ، فقال لى لاتستكثر هذا منى فى أمر هذا الفتى ، لئن مد له فى العمر ليفضحن سرجيس [٤] ، . وسرجيس هذا هو الرأس عينى من نقل علوم اليونانيين إلى السريانى .

---

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨

ـــ ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

ـــ أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٦

ـــ من المؤرخين من يرى أن الخليل بن أحمد كان بأرض فارس فلزمه حنين حتى برع فى لسان العرب

ـــ انظر فى ذلك صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠

ـــ ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص ١٨٥

(٣) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥

(٤) راجع ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠

ـــ انظر القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٠

ولقد بلغ من سرور جبريل بحنين وإعجابه بروعة ترجماته أن قدمه لأبنـــاء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثريـاء ، يقول القفطى فيهم « وممن عنى بإخراج الكتب من بلاد الروم محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم . وقـــد بذلوا فى ذلك الرغائب ، وأحضروا الغرائب منهـا فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقى والطب وغيرها (١) » ، فاحتضنه هؤلاء ، وكانوا أصحاب الفضل فى إظهار مواهبه كما كانوا يجذلون له العطـــاء وقدموه (٢) بدورهم إلى الخليفة المأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة (٣) .

ويذكر ابن أبى أصيبعة « أن المأمون أحضره ، وكان فتى وأمره بنقل مايقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربى وإصلاح ماينقله غيره ، فامتثل أمره (٤) ، وقام بما أسند اليه خير قيام ، وظل يوالى النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) .

يقول ابن العبرى « ولم يزل أمره (حنين) يقـوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر فى النقل والتفاسير حتى صـــار ينبوعا للعلم ، ومعدنا للفضائل ، واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر بإحضاره (٥) « واختاره للترجمة وائتمنه عليها ، وجعل له كتابا نحارير عالمين بالترجمـة كانوا

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٢٤
(٢) راجع أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩
(٣) ماكس مايرهوف مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٦
(٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء
(٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١

يترجمون ويتصفح ماترجموا (١) .

ولقد كان ميل حنين إلى الطب وممارسته (٢) له دافعا له على أن يهتم ، بنقل الكتب الطبية وخصوصا كتب جالينوس حتى أنه فى أغلب الأمر لايوجد شيء من كتب جالينوس إلا بنقل حنين أو بإصلاحه لما نقل غيره ، (٣) كاصطفن بن بسيل ، وموسى بن خالد ، ويحيى بن هارون .

ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن حنينا ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابا ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين (٤) ، .

كذلك ذكر أنه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها إليها لعلماء النصارى وأطبائهم ، بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها إليها لعظماء المسلمين (٥) ، .

ويذكر سويتمان (٦) أن حنينا كان يترجم إلى اللغة السريانية ، ثم ينقل ابنه إسحق مايترجمه إلى اللغة العربية ، .

---

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص١١٨ مطبعة السعادة

ـ انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص١٨٩

(٢) راجع قصته مع المتوكل فى المرجع السابق جـ١ ص ١٨٧ .

ـ ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص٢٥١ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ١٨٨

ـ نفس المرجع ص ٢٠٠

(٤) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٨

(٥) نفس المرجع : ص ٣٧

(6) Jslam and Christian Theology. V. 1 p 88.

ويقرر أوليرى « أن بعض ترجمات حنين قد نقحها فيما بعد كتاب متأخرون [١] » .

والواقع أن هـذا المسلك قد يثير الشك فى معرفة حنين باللغـة العربية . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى « كان يغلب عليه « حنين ابن إسحق » أن يترجم من اليونانية إلى السريانية ، ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية إلى العربية ، وهو أمر غريب حقا لأن حنين ابن إسحق كان يتقن العربية إتقانا مدهشا ، فماذا يدعوه إذن إلى اتخاذ هذا الطريق الملتوى الغريب [٢] » .

والموقف يتضح إذا ما عدنا إلى قول أوليرى « إن حنينا اضطر إلى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته [٣] » . فكان أن قصد البصرة [٤] ولازم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى .

لا غرابة إذن فى أن يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية إلى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجماته بالتنقيح والتهذيب ، ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجته إلى إتقان العربية ، هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد ترجمة الكتب التى كان قد ترجمها فى صدر حياته إلى العربية عندما أحس تفوقه فيها . ولقد

---

(١) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ترجمة الدكتور وهيب كامل ص ٢٢٨ .

(٢) الدكتور عبد الرحمن بدوى : فن الشعر لأرسطوطاليس التصدير ص ٥١

(٣) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٩٩

(٤) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥

— راجع القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة

استطاع حنين بفضل تضلعه فى اليونانية أن يوضح معانى كتب جالينوس ، ويلخصها (١) أحسن تلخيص ، ويكشف ما استغلق (٢) منها ، ويقدم لها ، فمن ذلك ما فعله فى كتاب الفصد إذ « نقله من اليونانية إلى العربية ، وهذبه ، وزاد فيه مقدمة فيما يجب على الطبيب اعتماده فى الصنعة والعلاج » وتلاه بكلام جالينوس فى الفصد (٣).

ولم ينحصر نشاط حنين فى نطاق ترجمة الكتب الطبية فقد قيل إنه عرب كتاب إقليدس (٤) ، وكتاب بطليموس (المجسطى) أكبر كتبه الفلكية ، وأصلحها ونقحها .

كذلك عرب حنين عددا كبيرا من كتب بقراط وأرسطو ، كما « جعل المنهج الكامل فى مدرسة طب الإسكندرية فى متناول أيدى الطلاب العرب ، واشتمل على مجموعة مختارة من كتب جالين (٥) » فأفاد الأمة العربية إفادة جزيلة (٦) ، إذ لولا ذلك التعريب الذى قام به حنين

---

(١) راجع صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤١
— ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج١ ص ١٨٩
(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٨ مطبعة السعادة
(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص ٩٢
(٤) تاريخ أبى الفدا ج٢ ص٥٢ طبع القسطنطينية ١٢٨٦هـ
— يذكر ابن خلكان (أنه نقل كتاب اقليدس من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية ثم جاء ثابت بن قرة فنقحه وهذبه ، وكذلك كتاب المجسطى)
— وفيات الأعيان ج١ ص٢٠٩ مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ
(٥) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩
(٦) راجع دائرة معارف البستاني : المجلد السابع ص ٢٥٣ مادة « حنين »

وغيره من المترجمين ، لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان ، لا جزم كل كتاب لم يعرفوه باق على حاله ، ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة (١) » .

ولم يشأ حنين أن يقف عند حد النقل والتعريب ، فقد أحس قدرته على التأليف فى هذه الموضوعات التى طالما اشتغل بالترجمة فيها ، وقد أورد القفطى قائمة (٢) كاملة لمؤلفاته ، وقد كانت باللغتين السريانية والعربية ، وكانت كتبه الطبية صورة منعكسة لكتب أطباء اليونان التى استنفد فى ترجمتها أهم قسط من نشاطه فى حياته العلمية ، وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أهم كتبه (٣) « تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس » وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية ، و « المسائل فى الطب » وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة ، ثم كتاب « العشر مقالات فى العين » وكتاب « المسائل فى العين » .

ويرى أوليرى « أن الفضل فى حنين يجب أن ينسب إلى جنديسابور بالرغم من أن معلوماته الأوسع والأدق إنما جاءته عن طريق بلاد الإغريق لأن هذه الأسفار والدراسات لم يدفعه إليها إلا ما تعلمه فى جند يسابور (٤) » .

إسحق بن حنين « توفى سنة ٢٩٨ هـ وقيل سنة ٢٩٩ هـ » .

كان يلحق بأبيه فى صحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية إلى العربية ، وقد

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص ٢٠٠ ط. بولاق ١٢٩٩ هـ

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠

(٣) مقدمة العشر مقالات فى العين من ص ٣٣ — ٣٩ المطبعة الأميرية ١٩٢٨م

(٤) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٤٩

خلفه (١) على الترجمة ، وكان بارعا ومقدما فى العلوم الرياضية ، كما تميز فى صناعة الطب (٢) .

وقد نقل إسحق من الكتب اليونانية إلى اللغة العربية كتبا كثيرة ، إلا أن (٣) جل عنايته كانت مصروفه إلى نقل الكتب الحكمية ، يشير ابن خلكان إلى ذلك أيضا بقوله « إن الذى يوجد من تعريبه فى كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب (٤) » ويعلل ابن العبرى ذلك بقوله « إن نفس إسحق كانت أميل إلى الفلسفة (٥) » .

ومن المؤلفات التى نقلها إلى اللغة العربية أصول الهندسة لإقليدس ، وأصلحه فيما بعد ثابت بن قرة ، وكتاب المعطيات لإقليدس أيضا ، ثم كتاب المجسطى لبطليموس ، وقد أصلحه كذلك ثابت بن قرة .

يقول القفطى « أصلح ثابت النسخه التى نقلها إسحق بن حنين من المجسطى إلى العربى إصلاحا قضى فيه حق من سأله ذلك أو حق إسحق (٦) »

ويذهب ماكس مايرهوف إلى أن السبب فى أن ما ترجمه إسحق قد أصلحه غيره يرجع إلى أن « معلوماته فى اللغة العربية كانت قليلة جدا

---

(١) انظر صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ١٤ ط. محمد مطر

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ح١ ص٨٢ ط. بولاق

(٣) انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ح١ ص١٨٨

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ح١ ص ٨٢ ط. بولاق

— انظر دائرة معارف البستانى المجلد الثالث ص٤٥٣

— انظر البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق

(٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص٢٥٢

(٦) القفطى : أخبار الحكماء ص٨٣ مطبعة السعادة

بحيث أنه لم يتمكن من حسن الترجمة (١) ، غير أن ابن النديم يقول « وكان فصيحا بالعربيـــة يزيد على أبيه فى ذلك (٢) » والقفطى (٣) يردد ما قاله ابن النديم بنفس ألفاظه . ويبدو لى أن تفوق إسحق على أبيه فى العربية لا يعنى أنه كان يتقنها إذ أن معرفة حنين بالعربية كانت قاصرة فى مستهل حياته .

وقد نقل إسحق بن حنين من كتب أرسطو المقولات ، والجدل ، والعبارة ، والخطابة ، ولا نستطيع أن نتبين أى هذه الكتب نقـل من السريانية ، وأيها نقل مباشرة عن اليونانية (٤) ، كذلك لا نعرف على وجه التحقيق إذا كان بعض هذه الترجمات قام به إسحق أو أبوه حنين ، ومرد ذلك إلى أنهما كانا يشتغلان معا .

ويبدو أن إسحق كان قد أسلم إذ يقول البيهقى عنه « وإسحق بن حنين كان من جلة المسلمين ، وقد حسن إسلامه ، وأشركه المكتفى فى بيعة ابنه مع وزيره العباس بن الحسن (٥) .

ثابت بن قرة « ولد سنـــة ٢٢١ هـ بحران وتوفى سنة ٢٨٨ هـ » كان من الصابئين (٦) من أهـــل حران ، وقد تناهت إليه زعامتهم .

---

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص١٣ المطبعة الأميرية
(٢) ابن النديم : الفهرست ص٤٢٩ مطبعة الاستقامة بالقاهرة
(٣) القفطى : أخبار الحكماء ص٥٧ مطبعة السعادة بالقاهرة
(٤) راجع دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى ص٩٨ مادة « إسحق »
(٥) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص١٩ مطبعة الترقى بدمشق
(٦) المرجع السابق ص ٢٠

يقول كويلر يونج إنه كان « زعيم طائفة من عبدة النجوم ازدهرت في حران (١) » وقد عمل في مبدأ أمره صرافا بسوق حران ، ثم انتقل إلى بغداد « لخلاف بينه وبين أبناء دينه (٢) فأدخل رئاسة الصابئة إلى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم ، وعلت مراتبهم وبرعوا ، وقد قدمه محمد بن موسى إلى المعتضد فاتخذه صديقا له ، و « أدخله في جملة المنجمين (٣) » .

وقد اشتغل ثابت بعلوم الأوائل فمهر فيهما ، وأعانته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هي الإغريقية والسريانية والعربية . وغلب عليه الاتجاه الفلسفي والرياضي ، ولعل ذلك يرجع إلى ما اشتهر به الصابئة عامة في هذه العلوم .

يقول عنه صاعد الأندلسي إنه « فيلسوف متوسع في العلوم ، متفنن في ضروب الحكم ، متقلد لجوامع الفلسفة ، له تآليف حسنة في المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك (٤) » .

---

(١) أثر الإسلام الثقافي في المسيحية ص ٢٥٢ مقال نشر في كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٧٢

ـ انظر الدكتور إبراهيم العدوى : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ص ١٦٦

ـ اقرن ذلك بقول القفطي « اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلد الروم لأنه رآه فصيحا » أخبار الحكماء ص ٨١ مطبعة السعادة بالقاهرة

(٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٥

(٤) طبقات الأمم ص ٤١ ط. محمد مطر

وقد بلغت تآليفه مقدار عشرين (١) تأليفـا ، ومن الكتب التى ألفها بالسريانية كتابه « فى السكون بين حركتى الشريان (٢) » وقد نقله إلى العربية عيسى بن أسيد ، وأصلح ثابت العربى .

كذلك يذكر ابن العبرى أنه ألف « بالسريانية فيما يتعلق بمذهب الصابئة فى الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم (٣) » .

= — أنظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطبـاء
حـ ١ ص ٢١٥ المطبعة الوهبية
— يذكر البيهقى أنه « كان حكيما كاملا فى أجزاء الحكمة »
تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٠ مطبعة الترقى بدمشق

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٢٥ ط. بولاق ١٢٩٩ هـ
— يرى أوليرى أنه ألف بالعربيـة حوالى ١٥٠ بحثـا فى المنطق والرياضيات والفلك والطب ، وكتب بالسريانية خمسة عشر بحثا آخر.
مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٦٠

(٢) جاء فى عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة حـ ١ ص ٢١٨
« أنه صنف هذا الكتاب سريانيا لأنه أومأ فيه إلى الرد على الكندى، ونقله إلى العربى تلميذ له يعرف بعيسى بن أسيد النصرانى ، وأصلح ثابت العربى ، وذكر قوم أن الناقل لهذا الكتاب حبيش بن الحسن الأعسم وذلك غلط »
— انظر فى ذلك أيضا القفطى : أخبار الحكماء ص ٨١ مطبعة السعادة

(٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٠٥
— راجع قول القفطى « وله بالسريانية ما يتعلق بمذهبه » رسالة فى =

ويعد البيهقى من تصانيفه كتاب الذخيرة (١) وهو كتاب نادر فى الطب وهو عربى جيد . ويستدل بما أورده القفطى (٢) من كتب ثابت أنه كان على قدر كبير من النشاط إذ أنه لم يترك ناحية من نواحى معارف عصره إلا وألف فيها كتابا ، أو أصلح فيها ترجمة ، أو نقل فيها شيئا رآه جديرا بالنقل .

ولقد ذكر ماكس مايرهوف أن « ثابت بن قرة قد أصلح عددا كبيرا من مترجمات اسحق بن حنين الفلسفية والرياضية ، ويوجد حتى اليوم عدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحا لها (٣) » .

ومن الترجمات التى أصلحها « النسخة التى نقلها إسحق بن حنين من المجسطى لبطليموس إلى العربى ، ثم إنه نقل هذا الكتاب نقلا جيدا ،

= الرسوم والفروض والسنن ، رسالة فى تكفين الموتى ودفنهم ، رسالة فى اعتقاد الصابئين »

— أخبار الحكماء ص ٨٤ مطبعة السعادة

(١) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢١ مطبعة الترقى بدمشق

— يقول القفطى « سألت أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة عن هذا الكناش، فقال ليس ذلك لثابت، ولا وجدته فى كتبه، ولا دساتيره »

أخبار الحكماء ص ٨٤ مطبعة السعادة

(٢) انظر ثبتا مفصلا لكتب ثابت بن قرة عند القفطى : أخبار الحكماء من ص ٨١ إلى ٨٤ مطبعة السعادة

(٣) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٩

وأصلحه وأوضحه (١) ، كما أنه اختصر جزءا كبيرا منه ، كذلك أخذ كتاب (٢) اقليدس الذى عربه حنين بن اسحق أيضا فهذبه ونقحه ، وأوضح ما كان مستعجما منه . وقد كان لثابت كثير من التلاميذ ، وكان أحدهم مسيحيا ، ويدعى عيسى بن أسيد ، وقد ترجم عيسى (٣) إلى العربية مؤلفات ثابت التى وضعها بالسريانية ، وكان يتولى النقل بحضوره .

حبيش بن الحسن الدمشقى :

وهو ابن أخت حنين بن إسحق ، وأحد تلاميذه ، ومنه تعلم صناعة الطب .

يقول البيهقى « وحبيش كان من الأطباء المتقدمين والمهندسين ، وله تصانيف كثيرة فى الطب ، وكان مصيبا فى المعالجات (٤) » .

وقد استطاع حبيش « بفضل حدب حنين عليه أن يصبح أحد مشاهير المترجمين (٥) » فاشتغل بالنقل من اليونانى والسريانى إلى العربى ، وكان يسلك مسلك حنين فى نقله إلا أنه كان يقصر عنه (٦) ، وبالرغم

---

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ٨٣ مطبعة السعادة

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ص ١٢٥ وانظر ص٢٠٩ من نفس المرجع مطبعة بولاق١٢٩٩هـ

ـــ انظر دائرة معارف البستانى المجلد السابع ص ٢٥٣ مادة « حنين »

(٣) انظر ترجمة عيسى بن أسيد القفطى : أخبار الحكماء ص ١٦٤

ـــ ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ مطبعة الاستقامة

(٤) تاريخ حكماء الإسلام ص١٩ مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٠م

(٥) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص١٧

(٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص٢٠٢

من ذلك فقد كان حنين ، يقدمه (١) ويعظمه ويرضى نقله ، وقد نسب أكثر ما نقله حبيش إلى حنين . يقول القفطى « كثيرا ما يرى الجهال شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ فى الاسم ، ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ، ويجعله لحنين (٢) » .

ويرى مايرهوف أن هـذا الخلط مرده إلى « تشابه اسم حنين وحبيش فى الكتابة الخطية أيام أن كانت الحروف لا تنقط ، فكانا يرسمان هكذا « حىىں » و « حىىس » (٣) » .

ويقول دى بور « نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معـا فإن كتبا كثيرة تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى ، ولا بد أن كثيرا من الكتب كان يترجمه تلاميذهم ومساعدوهم بإرشاد منهم (٤) » .

متى بن يونس «كان ببغداد فى خلافة الراضى بعد سنة عشرين وستمائة هـ »

كان (٥) حكيما نصرانيا من أهل دير قنى ممن نشأ فى أسكول مرمارى ، شرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ،

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص٤٢٨ مطبعة الاستقامة
ـ ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢
(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٢٢ مطبعة السعادة
ـ راجع ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٣
(٣) ماكس مايرهوف : كتاب العشر مقالات فى العين المقدمة ص ٢٢
(٤) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٣٠
(٥) البيهقى : تاريخ حكماء الإسلام ص ٢٨ مطبعة الترقى بدمشق

وإليه (١) انتهت رياسة المنطقيين فى عصره ، وكان يطنب فى الكلام بقصد التعليم والتفهيم . ولعل من أهم الكتب التى ترجمها كتاب سوفسطيقا (٢) لأرسطو ، ومعناه الحكمة المموهة ، وقد نقله إلى السريانى . كما ترجم أيضا كتاب الشعر لأرسطو ، يذكر ذلك ابن النديم فى حديثه عن كتب أرسطو فيقول « الكلام على أبوطيقا ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر متى بن يونس من السريانى إلى العربى » (٣) .

وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بدوى هذه الترجمة كاملة فى كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهو يرى أنها ترجمة (٤) رديئة .

سنان بن ثابت بن قرة : (توفى سنة ٣٣١ هـ)

كان (٥) عالما بالعدد والهندسة ، وكان طبيبا مقدما كأبيه ، وقد وكل إليه المقتدر امتحان أطباء بغداد سنة ٣١٩ هـ ، وقد نقل إلى العربى نواميس هرمس والسور والصلوات التى يصلى بها الصابئون (٦) . كما

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص٣٨٢ مطبعة الاستقامة
(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص٢٨ مطبعة السعادة
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٣ مطبعة الاستقامة
(٤) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى « يغلب على ظننا أن ابن سينا فى تلخيصه وعرضه لكتاب الشعر فى « الشفاء » إنما استعان ترجمة يحيى بن عدى على افتراض أنها كانت أصح لأنه لم يكن فى وسعه الاعتماد على ترجمة أبى بشر متى بصورتها التى وصلت إلينا .
فن الشعر لأرسطوطاليس : التصدير ص ٥٠ مطبعة مصر
(٥) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص٤١ ط. محمد مطر
(٦) القفطى : أخبار الحكماء ص١٣٣ مطبعة السعادة

أصلح كثيرا من الترجمات التى كانت تترجم من السريانى إلى العربى (١). من ذلك إصلاحه كتاب أفلاطون فى الأصول الهندسية ، وقد زاد فى هذا الكتاب شيئا كثيرا (٢) . وقد توفى سنان بن ثابت مسلما ببغداد (٣) .

يحيى بن عدى : (توفى سنة ٣٦٤ هـ)

كان نصرانيا يعقوبى النحلة ، قرأ على أبى بشر متى بن يونس وعلى أبى نصر الفارابى ، وقد انتهت إليه رئاسة أهل المنطق فى زمانه ، وكان ينسخ بيده (٤) ، فكتب كثيرا من الكتب ، وله تصانيف وتفاسير ونقول كثيرة ، من ذلك كتاب « طوبيقا » لأرسطاطاليس . يقول ابن النديم فى معرض الحديث عن كتب أرسطو « الكلام على « طوبيقا » « الجدل » نقل إسحق هذا الكتاب إلى السريانى ، ونقل يحيى بن عدى الذى نقله إسحق إلى العربى . كما نقل كتاب أبوطيقا ، وقد ذكره ابن النديم أيضا فى قوله «الكلام على أبوطيقا ومعناه الشعر ، نقله أبو بشر متى من السريانى إلى العربى ، ونقله يحيى بن عدى،(٥) وقد بقيت لنا ترجمة أبى بشر متى ، ونظرا لرداءتها فإن الدكتور عبد الرحمن بدوى يظن أن الخبر عن يحيى بن عدى وأنه نقله خبر صحيح (٦) كما نقل كتاب سوفسطيقا لأرسطو إلى العربى أيضا .

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ١ ص ٢٢٤
(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ١٣٣
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤
(٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٩٧
(٥) ابن النديم : الفهرست ص٣٦٣
(٦) من تصدير فن الشعر لأرسطو ص ٥٠ مطبعة مصر

أبو على عيسى بن زرعة :

« ولد سنة ٣٣١ هـ وتوفى سنة ٣٩٨ هـ [1] »

كان نصرانيا يعقوبيـا ، اشتغل بالمنطق فى بغـداد ، وكان متقـدما فيه ، كما برع فى الفلسفة . ذكره ابن النديم فقال إنه « كان ينقـل من السريانى إلى العربى ، وأكثر ما نقـله يدخـل فى دائرة الفلسفيات [2] » . وكان جيد النقـل ، ومما نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس . والقفطى يشير إلى ذلك بقوله « ونقله (كتاب الحيـوان) أبو على بن زرعة إلى العربى وصححه ، وملكت منه نسخه [3] » .

---

(١) راجع ابن العبرى: مختصر تاريخ الدول ص٣١٥

(٢) ابن النديم : الفهرست ص٣٨٣ مطبعة الاستقامة

(٣) القفطى أخبار الحكماء ص٣١ مطبعة السعادة

— راجع بقية تصانيفه فى نفس المرجع ص١٦٤

الفصل الثالث

طرق المترجمين فى النقل وأساليبهم

فى وسعنا بعد هذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من حركة الترجمة أن نتبين أن النقل كان يحدث إما من اليونانية إلى العربية مباشرة ، وإما من اليونانية إلى السريانية ، ومنها إلى العربية (١) « ومما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تعد فى الوقت الذى كانت تبدأ فيه الترجمات العربية ، وقد دامت الترجمة إلى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور (٢) » . أى أن عمل الترجمة كان من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات فى العربية وفى السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس .

ويذهب ماكس مايرهوف إلى أن « الترجمة فى النصف الأول من القرن الثالث « التاسع الميلادى » كانت غالبا إلى السريانية ، وفى النصف الثانى ازدادت حركة الترجمة إلى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا بإصلاح التراجم القديمة (٤) »

---

(١) راجع الدكتور أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ٧٢
(٢) أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ٢٤١
(٤) ماكس ما يرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٨

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا . يقول دى بور « والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان إلى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون جميعا يكونون من السريان (١) » .

ويقول ماكس مايرهوف « وكان هؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية (٢) » .

ويقول فيليب حتى « كان معظم المترجمين ممن يتكلمون الآرامية (٣) »

وهكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الإغريقية والعلوم الإغريقية والإسلام . وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم ، وتمر بأقلامهم قبل أن تصل إلى العقل العربى . « وقد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل ، ولكن الرجوع إلى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق فى هذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهو أن الدقة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غاية من الأهمية (٤) » .

وكان « للتراجمة فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٨

— انظر جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ٢ ص٢٢

(٢) ماكس مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد ص ٥٧

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ ٢ ص ٣٨٦ ط ١٩٥٢

(٤) أوليرى : علوم اليونان وسبل نقلها إلى العرب ص ٢٢٠

الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها ، وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما أنه لايوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . الثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لاتطابق نظيرها من لغة أخرى دائما . وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن إسحق والجوهري [١] وغيرهما ، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها ، وهذه الطريق أجود [٢] » .

ولكن يبدو أن الأمر لم يكن على هذا النحو المتطرف الذي صوره الصفدي فالالتجاء إلى الترجمة الحرفية لم يكن مذهبا عاما .

يقول فيليب حتى « لما كانت تعترض المترجمين قطع صعبة في الأصل ، فإنهم كانوا يعمدون إلى الترجمة الحرفية ، فإذا لم يجدوا مرادفا عربيا ، كانوا يعمدون إلى نقل اللفظ اليوناني بحروفه مع إدخال شيء من التحوير [٣] » ومن ثم نجد كلمات مثل [٤] قاطيغورياس أي المقولات ،

---

(١) توفي حوالي سنة ٨٣٣ م أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ص ٢٣٨

(٢) صلاح الدين الصفدي : الغيث المسجم في شرح لامية العجم ج١ ص ٤٦ — انظر الدكتور أحمد عيسى : التهذيب في اصول التعريب ص ١١٣

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٣٨٦

(٤) راجع ابن النديم : الفهرست ص ٣٦١

بارى إرمانياس أى العبارة ، أنالوطيقا أى تحليل القياس ، ريطوريقا أى الخطابة ، أبوطيقا أى الشعر ، أرثماطيقى أى الحساب [١] . وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى المصطلحات الفنية التى يصطنعها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هى بحروف عربية ، ولكن هذه المصطلحات تدل فى أحيان كثيرة على أنها مرت فى وسط آرامى « سريانى » فى طريقها إلى العرب ، وهذه الظاهرة أكثر وضوحا فى الكتب الطبية منها فى الكتب الرياضية والفلكية [٢] » .

كذلك لم تكن طريقة حنين فى التعريب على هذا النحو الذى صوره الصفدى . يقول برجستراسر « إن حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه تجشما عناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما يستطاع من الوضوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها ، لكن تراجم حنين أفضل ، ودقتها أعظم ، ومع ذلك فإن الإنسان يخيل إليه أنها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغة ، وحسن تصرف فى مذاهبها ، ويتجلى هذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية ، والدقة المتناهية فى التعبير مع الإيجاز ، تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها [٣] » .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٠

(٢) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ص ٢٢٠

(٣) ماكس مايرهوف : العشر مقالات فى العين المقدمة ص ٣٠

ولقد بذل السريان أقصى جهـــدهم فى الإحاطة بالتراث اليونانى ، وكانوا يجوبون الأقطـــار سعيا وراء استكمال الكتب التي وقعت تحت أيديهم .

يقول حنين بن إسحق عن كتاب « فى البرهان لجالينوس » الذى كان نادر الوجـــود فى القرن الثالث الهجرى « إنى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت فى طلبه أرجاء العـــراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنى لم أحظ إلا بما يقرب من نصفه فى دمشق (١) » .

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن فهم السريان للثقافة اليونانية صحيحا كله ، كذلك لم يحل إتقان النقلة لليونانية والسريانية والعربية من ظهور بعض مآخـذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينـــا أنه إلى جانب أولئك المترجمين الذين أشرنا إليهم كان هناك فئات أخرى ممن ليست لديهم درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمة الصحيحة المؤدية لحقائق الأصل ومراميه .

يقول القفطى وهو يتحدث عن كتاب « الكون والفساد » لأرسطو « وقال أهل العلم بالسريانى أنه بالسريانى فوق العربى فى الجودة ، ولا شك فى أن ناقله إلى العربى قصر فى الترجمة » . (٢)

---

(١) ماكس مايرهوف : مقدمة العشر مقالات فى العين ص٢٩

(٢) القفطى : أخبار الحكماء ص ٣٠

— يقول ابن النديم « وليحيى النحوى فى الكون والفساد شرح تام ، والعربى دون السريانى فى الجودة » الفهرست ص ٣٦٥ ؛

وعندما تقدمت حركة الترجمة أحس المترجمون بما كانوا قد وقعوا فيه من أخطاء ، فأخذوا يعيدون النظر فيما نقل ، ويتناولونه بالترجمة من جديد ، أو يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

يقول أوليرى : « وقد أدى الحرص على معلومات علمية دقيقة إلى وضع ترجمات أكثر دقة أو إلى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا »(١).

ولعل ذلك يتضح فى قول حنين بن إسحق فى رسالة له إلى على بن يحي عن كتاب فى الفرق لجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لما بلغت الأربعين من عمرى طلب إلى تلميذى حبيش أن أصلحها بعد إذ كنت قد جمعت قدرا من المخطوطات اليونانية ، وعند ذلك رتبت هذه بحيث نسقت منها نسخة صحيحة قارنتها بالنص السريانى ثم صححتها ، وتلك عادتى التى اتبعتها فى كل ما ترجمته (٢) » .

كذلك يقول إسحق « نقلت هذا الكتاب « كتاب النفس لأرسطو » إلى العربى من نسخة رديئة ، فلما كان بعد ثلاثين سنة وجدت نسخة فى نهاية الجودة ، فقابلت بها النقل الأول وهو شرح ثامسطيوس(٣)» .

وبديهى أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده إلى تفاوتهم فى

---

(١) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ص ٢٢٠
(٢) العشر مقالات فى العين ـ المقدمة ص ٢٩
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٦
ـ القفطى : أخبار الحكماء ص ٣٠ ، ٣١

المعرفة باللغات المترجم منها وإليها ، وإلى تمكنهم من المادة العلمية التى تعالجها موضوعات الكتب التى يترجمونها .

يقول ابن أبى أصيبعة « وجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية إلى السريانية سرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية إلى العربية موسى بن خالد الترجمان ، فلما طابقتها وتأملت ألفاظها ، تبين لى بين نقلها وبين الست عشرة التى هى نقل حنين تباين كثير ، وتفاوت بين ، وأين الألكن من البليغ والثرى من الثريا [1] ؟! » .

ولقد ترتب على تبادل الكتاب الواحد فى أيدى أكثر من مترجم أن ثارت الريبة حول الكتب المنقولة ، ولم يعد الناس يرتاحون لها ويطمئنون إليها . يقول الجاحظ « ولا يزال الكتاب تداوله الأيدى الجانية ، والأعراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرفا ، وكذبا مصمتا ، فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطاط بشر من ذلك أو بمثله [2] » .

ويقول برجستراسر « إن لغة كتاب العشر مقالات فى العين تشيع فيها بعض خواص امتاز بها أسلوب حنين وحبيش ، ولكنه مكتوب بأسلوب عربى — وبربرى أحيانا — ردىء بحيث لا يرجع انحطاطه وسوقيته إلى عبث الناسخين فحسب ، كذلك يظن أن الكتاب فى صورته التى هو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجح أن حبيشا

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء حـ١ ص١٨٩

(٢) الجاحظ — الحيوان جـ١ ص ٧٩

وسواه من تلاميذ حنين غيروه فأخرجوه عن أصله » (١).

ولا غرابة فى أن يشك الجاحظ فيما تضمنته الكتب المترجمة ، ويثور القلق فى نفسه ، فلا يدعه يصدق ما يقوم المترجمون بنقله . ودافعه إلى ذلك أن « الترجمان لا يؤدى أبدا ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم (٢) » .

وهكذا وجد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره فى المترجمين ، فهم فى رأيه عاجزون عن التعبير عن المعانى الأصلية ، ولذا فهو يسلكهم فيمن لا يسلم بقولهم ، ولا يأخذ بكلامهم « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين ، وأحاديث السماكين ، وإلى ما فى كتاب رجل لعله أن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه لسوء ترجمته (٣) » .

ولم يكن هنالك بد وقد عاب الجاحظ على التراجمة عجزهم عن نقل المعانى بدقة فى ترجماتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على الكتب القديمة من تحريف من أن يبين لهم الخصائص التى يراها لازمة لمن يأخذ نفسه بهذا العمل ، وقد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة (٤)

---

(١) العشر مقالات فى العين المقدمة ص ٦٣

(٢) الجاحظ : الحيوان جـ١ ص ٧٥ ، ٧٦

(٣) الجاحظ : الحيوان جـ٦ ص١٩

(٤) انظر الدكتور طه الحاجرى : تخريج نصوص أرسطاليسة فى كتاب الحيوان . بحث فى مجلة كلية الآداب المجلد السادس سنة ١٩٥٢ ص١٧

« تتلخص فى معرفة دقيقة أصيلة محيطة بالموضوع ، وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول إليها ، وهو يقول إن من الواجب على من يعمل بالترجمة « أن يكون فى العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه (١) » . وهو يذكر أنه « لا بد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطىء فيه ، ولن تجد البتة مترجما يفى بواحد من هؤلاء العلماء (٢) » .

ولقد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين ، وأصبحت طيعة فى أيديهم ، وكانت ألفاظها الكثيرة من الوسائل التى أعانت على أداء المعانى وإبرازها بكل دقة .

يقول ابن سنان الخفاجى « كانت اللغة العربية مع السعة والكثرة أخصر اللغات فى إيصال المعانى ، وفى النقل إليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل إلى لغة العرب إلا ويجىء الثانى أقصر من الأول ، مع سلامة المعانى ، وبقائها على حالها ، وهذه بلا شك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لأن الغرض فى الكلام ووضع اللغات بيان المعارف وكشفها ... وقد أخبرنى أبو داود المطران — وهو عارف باللغتين :

---

(١) الجاحظ : الحيوان جـ١ ص٧٦

(٢) المرجع السابق جـ١ ٧٦

العربية والسريانية — أنه إذا نقل الألفـــاظ الحسنة إلى السريانى قبحت وخست ، وإذا نقل الكلام المختار من السريانى إلى العربى ازداد طلاوة وحسنا ، وهذا الذى ذكره صحيح [١] » .

ويرى دى بور أنه « ينبغى ألا نعد هؤلاء النقلة من جملة الفلاسفة ذوى الشأن ، إذ كان ينـدر أن يقبل أحدهم على الترجمة من تلقـــاء نفسه ، بل كان فى كل الأحوال تقريبا يعمل طـاعة لخليفـة أو وزير أو رجل عظيم [٢] » .

---

(١) ابن سنان الخفاجى : سر الفصاحة ص٤٨

(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص٣١

الخاتمة

قام هذا البحث ليكشف عن « نصيب السريان فى الحضارة الإسلامية »

١ — وقد استوجب ذلك أن ندرس فى الفصل الأول من الباب الأول أوليات الحضارة فى المنطقة التى تسمى الآن بالهلال الخصيب باعتبارها البيئة التى استقر فيها الآراميون بعد هجرتهم من الجزيرة العربية ، وقد كشفت هذه الدراسة عن أن الآراميين قد تلقوا تأثيرات حضارية عديدة مكنتهم منها موقع بلادهم ، كما أن اللغة الآرامية قد ظلت سائدة فى آسيا حتى مطلع القرن السابع الميلاد تقريبا ، ولم يؤثر عليها زوال نفوذهم السياسى ، ولقد اندثرت الحضارة الآرامية، ولم يصل لنا إلا القليل من معارفهم لعدم مسايرتها للعقيدة المسيحية .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب خرجت من دراستى للسريان بأن لفظة سريان لا تتخذ للدلالة على الجنسية بل على الديانة ، وأنها مرادفة للفظة المسيحى والنصرانى .

٢ — وفى الباب الثانى تحدثت عن المراكز الثقافية فى الشرق القديم ، وكان أهمها الإسكندرية ، وحران ، وجنديسابور ، والرها ، ونصيبين، وكانت النتائج التى توصلت اليها تتلخص فيما يلى .

(ا) بدأ اتصال المسلمين بمدرسة الإسكندرية منذ زمن الفتح ، وقد ساعد اهتمام الخلفاء الأمويين بالعلوم المسيحية على تشجيع هذه الصلة ، ومن هناك قدم إسطفانوس وماريانوس ، وترجموا كتب الكيمياء لخالد ابن يزيد ، كذلك قام ماسرجويه بترجمة بعض الكتب الطبية فى عهد عمر بن عبد العزيز ، ولما جاء العصر العباسى كان نفوذ مدرسة الإسكندرية قد أصابه الضعف .

(ب) ظهر أثر مدرسه حران فى الرياضيات ، وقد تميز الحرانيون بمعرفتهم اللغة العربية ، ولذلك جاءت ترجمتهم دقيقة .

(ج) اتصل العرب بمدرسة جنديسابور قبل الإسلام : وممن درسوا فيها الحارث بن كلدة ، وقد عمل هذا الاتصال على تعريف العرب بالحضارة الفارسية . ورغم سقوط دولة الفرس فقد ظلت المدرسة تقوم بنشاطها ، غير أن العناية لم تتجه إليها إلا فى العصر العباسى حين قدم كثير من أطبائها لعلاج الخلفاء ، وبذلك أتيح لهم أن يظهروا مهارتهم ، فنقلوا كثيرا من الكتب إلى العربية .

(د) يبدو أن تأثير مدرستى الرها ونصيبين كان ضعيفا فى العرب لأن الدراسة بها كانت لاهوتية محضة ، كما كانت موجهة بحيث توافى حاجات الكنيسة .

٣ — وفى الباب الثالث بينت جهود السريان فى الحضارة العربية قبل الإسلام ، وعينت البيئات التى بدت فيها هذه الجهود ، وما أثمرته فيها . وقد توصلت إلى النتائج الآتية :

(أ) كانت الآرامية هى لغة الكتابة فى دولة الأنباط وفى دولة تدمر ، ومن آرامية الأنباط أخذ عرب الشمال أبجديتهم .

(ب) كان اليعاقبة هم الذين نقلوا الثقافة اليونانية إلى الغساسنة .

(ج) تلقى عرب الحيرة قدرا كبيرا من العلم والفلسفة واللاهوت المسيحى عبر اللغة السريانية التى كانت سائدة هناك .

(د) كان تسجيل تاريخ الأديرة فى الحيرة من العوامل التى أعانت اللغة العربية لكى تصبح لغة خالصة وتصلح للاستعمال فى الكتابة .

(هـ) انتقل التأثير النسطورى من الحيرة ونفذ إلى العرب كلهم ، وكانت له مظاهره فى نجران .

(و) ظهور القلق الديني ، ووجود نزعات دينية عند بعض الشعراء في العصر الجاهلي مظهر من مظاهر التأثر بالسريان .

٤ — وقد أوضحت في الباب الرابع النشاط الذى قام به السريان في ظل الأمويين ، فبينت أن الأسباب التي مهدت لقيام السريان بدورهم في بناء الحضارة الاسلامية كانت تتلخص فيما يلي :

(أ) ظهور مشكلات جديدة لم يكن لدى المسلمين بها خبرة من قبل أدى بهم إلى الاستعانة بأهل الثقافات الأجنبية ، وكان معظم هؤلاء سريانا .

(ب) مساواة الإسلام بين معتنقيه استثارت غير العرب فشاركوا في كل نشاط دار حولهم .

(ج) انتقال الخلافة إلى دمشق أتاح للسريان فرصة واسعة ليضاعفوا من جهودهم في بناء الدولة الإسلامية ، ذلك أن دمشق كانت مركزا للأساقفة المسيحيين ، ولقد كان من نتائج هذا الانتقال أن استعمل الأمويون عمالا كثيرين من اليونان والسريان ، وأسندوا إلى المسيحيين مركز الوزير الأول .

(د) ظلت الحياة العقلية في البلاد التي فتحها الإسلام تسير رتيبة ، فظل النشاط الثقافي على ماهو عليه مما ساعد على التحام الثقافات الأجنبية بالفكر العربي .

ولقد اقتضى سير البحث أن أتعرض للبصرة والكوفه كمركزين من مراكز الثقافة عنيا بالنشاط العقلي في العصر الأموى ، وقد كشفت الدراسة عما يلي :

(أ) على الرغم من أن البصرة والكوفة كانتا في بداية الأمر ثكنات لجند المسلمين إلا أن أهل العلم والمعرفه سرعان ماتقاطروا عليهما مما أدى

إلى قيام حركه فكريه فيها لاشك أنها تأثرت بالثقافة السريانية التى وفدت من جنديسابور والحيرة .

(ب) قامت الدراسات اللغوية فى كل من البصرة والكوفة لتذيب الفارق الذى بدأ يزداد بين لغة القرآن الكريم ولغة الكلام اليومية .

(ج) دفعت الرغبة فى فهم القرآن كثيرا من الموالى لدراسة العربية لاسيما وأنهم وجدوا أن تفوقهم فى مثل هذه الدراسة يقربهم إلى الخلفاء ، ويؤهلهم لتولى المراكز العالية فى الدولة .

(د) لما خالط العرب الأعاجم تسرب اللحن إلى ألسنتهم ، فاستوجب ذلك الاهتمام بالعلوم العربية حفظا للغة العربية من التغير ، ورغبة فى استجلاء معانى القرآن الكريم ، وخدمة للنص القرآنى حتى لايزل أحد فى فهمه .

(هـ) النحو العربى متأثر بالنحو السريانى فى كثير من أطواره ، كما أن النحاة العرب تأثروا بالسريان فى كتبهم ، حيث ظهر أنهم يسلكون فيها مسلكا فلسفيا .

وفى الفصل الثانى من الباب الرابع تحدثت عن حركة النقل فى العصر الأموى وبينت جهود السريان فيها ، وكانت النتائج التى انتهى اليها البحث فى هذا الفصل هى :

(أ) على الرغم من أن دراسة الفلسفة كانت ميسرة فى العصر الأموى إلا أن المسلمين كانوا يخشون الخوض فيها حفاظا على عقيدتهم ، ومع ذلك فإنه وجد من بينهم من تثقف بها مثل النضر بن الحارث بن كلده .

(ب) أول نقل علمى فى الإسلام كان بإرشاد خالد بن يزيد الذى أولع بدراسة الكيمياء ، وأشار بترجمة الكتب فيها .

(ج) اشتغال السريان بترجمة الكتب اليونانية إلى لغتهم قبل الإسلام أعانهم على أن يواصلوا عملهم فى العصر الإسلامى ، وكانوا بذلك واسطة لاقتباس العرب علوم اليونان .

(د) من النقلة فى العهد الأموى يحي النحوى ، وقد تأثر الغزالى بكتبه ، وماسرجويه الذى نقل كتاب أهرن القس فى أيام عمر بن عبد العزيز .

وفى الفصل الثالث من الباب الرابع بينت موقف العقلية العربية من الثقافات الدخيلة ، وتوصلت إلى النتائج الآتية .

(أ) تقبلت العقلية العربية الثقافات الأجنبية ، وأعانتها على ذلك رغبتها الدافقة فى التعرف على كل جديد ، وما كان لديها من إمكانات فطرية مكنتها من سرعه الفهم ، ومع ذلك ظلت العلوم الإسلامية هى التى تظفر باهتمام المسلمين طوال العصر الأموى تقريبا .

(ب) على الرغم من عدم دراسة الفلسفة فى العصر الأموى إلا أن احتكاك المسلمين بالمسحيين نقل إليهم كثيرا من الأفكار الفلسفية .

(ج) تأثرت الفرق الإسلاميه بالعوامل المسيحية فى مذاهبها .

٥ — الباب الخامس حركة النقل فى العصر العباسى . وقد قسمتة إلى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : درست فيه أسباب الترجمة ، وقد خرجت منه إلى أن الترجمة فى العصر العباسى قامت استجابة للدوافع الآتية :

(ا) احتياج حياة الحضارة إلى الأطباء والأدوية لفت الأنظار إلى جنديسابور ، وكانت تزخر بالأطباء ، فاستقدمهم الخلفاء وبذلك أتيحت لهم الفرصة لينقلوا علومهم إلى اللغة العربية لاسيا وأن الخلفاء قد رفعوا

قدرهم وأجزلوا لهم العطاء .

(ب) كانت الرغبة فى الاستعانة بوسائل الجدل والمناقشة هى التى أدت إلى ترجمة الفلسفة ليتمكن المسلمون من مقارعة خصومهم والدفاع عن دينهم . ومن هنا كان أول علم من علوم الفلسفة حصل له اشتراك بعلم الكلام الإسلامى هو علم المنطق .

(ج) لم يترجم المسلمون الأدب اليونانى لعدم حاجتهم إليه .

(د) انتشار الإسلام ودخول غير العرب فيه دفع هؤلاء إلى نقل علومهم إلى اللغة العربية .

(ه) اهتمام الخلفاء بالعلوم دفع غيرهم من الناس إلى التشبه بهم فوجد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أثرياء المسلمين .

وفى الفصل الثانى من الباب الخامس درست ميادين الترجمة ،وذكرت العاملين فيها ، وأشرت إلى جهودهم ، وألممت بالكتب التى ترجمها أو أصلحها كل منهم .

وفى الفصل الثالث من الباب الخامس بينت طرق المترجمين فى النقل وذكرت أساليبهم ، وانتهيت إلى ما يلى :

(أ) لم يكن لأحد من المترجمين طريقة خاصة يلتزمها ، وإنما كان مذهبه يتأثر بطبيعة الموضوع الذى يترجمه .

(ب) كان بعض المترجمين لا يحسنون فهم الموضوع الذى ينقلونه ، فجاءت ترجمتهم قاصرة مما أدى إلى إعادة ترجمة بعض الكتب أو تنقيحها .

(ج) مما يحمد للغة العربية أنها استجابت بسرعة لمطالب العصر ، وأصبحت طيعة فى أيدى المترجمين مما أعانهم على تأدية المعانى الجديدة التى استحدثها هذا النشاط العلمى .

المراجع

١) ابن سينا بين الدين والفلسفة — حمودة غرابة - دار الطباعة والنشر الإسلامية

٢) ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية — ترجمة محمد عبد الله عنان . رسالة نشرت مع فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

٣) أثر الإسلام الثقافى على المسيحية - مقال فى كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » جمع وتقديم الأستاذ محمد خلف الله .

٤) أدب المعتزلة - دكتور عبد الحكيم بلبع - مكتبة نهضة مصر .

٥) الآثار الباقية فى القرون الخالية - أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى - طبع ليبزج سنة ١٩٢٣م .

٦) الأخبار الطوال - أبو حنيفة الدينورى - طبع ليدن سنة ١٨٨٨ م .

٧) الأسر العربية المشتهرة بالطب - عيسى اسكندر المعلوف - المطبعة الأدبية سنة ١٩٣٥ م .

٨) الإسلام : ظهوره وانتشاره فى العالم - حامد عبد القادر - مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م .

٩) الأصنام - أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي - طبع دار الكتب سنه ١٩٢٤ م .

١٠) الأغانى - أبو الفرج الأصفهانى - طبع ساسى ودار الكتب .

١١) الأفلاطونية المحدثة عند العرب - الدكتور عبد الرحمن بدوى - مكتبة النهضة ١٩٥٥ م .

١٢) الإيرانيون القدماء - دكتور عبد المنعم محمد حسين فصل من كتاب حضارة مصر والشرق القديم .

١٣) البيان والتبيين - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

١٤) التاريخ الإسلامى - الدكتور أحمد شلبى - مكتبة النهضه المصرية .

١٥) التاريخ الكبير - أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين المعروف بابن عساكر - مطبعة روضة الشام .

١٦) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية سنه ١٩٤٦ م .

١٧) التنبية والاشراف - أبو الحسن على بن الحسين المسعودى - طبع الصاوى بالقاهرة سنه ١٩٣٨ م .

١٨) التهذيب فى أصول التعريب - الدكتور أحمد عيسى - الطبعه الأولى سنه ١٩٢٣ م مطبعة مصر .

١٩) الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم - الدكتور إبراهيم أحمد العدوى الطبعة الثانية سنه ١٩٥٨ م مكتبة الانجلو المصرية .

٢٠) الديارات - أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى - مطبعة المعارف - بغداد سنه ١٩٥١ م .

٢١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء - جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف القفطى - مطبعه السعادة سنة ١٣٢٦ هـ .

٢٢) الانتصار - أبو الحسن الخياط - طبع القاهرة سنه ١٩٢٥ م .

٢٣) الحضارة الإسلامية - تأليف خودا بخش - ترجمة الدكتور على حسنى الخربوطلى - طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٢٤) الحياة العربية من الشعر الجـــاهلى - الدكتور أحمد محمد الحوفى - مطبعة نهضة مصر .

٢٥) الحياة الفكرية والأدبية بمصر - الدكتور محمد كامل حسين - مطبعة مصر سنه ١٩٥٩ م .

٢٦) الحيوان - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة مصطفى البابى الحلبى .

٢٧) الساميون القدماء - الدكتور حسن أحمد محمود - فصل فى كتاب حضارة مصر والشرق القديم .

٢٨) السيرة النبوية - أبو محمد عبد الملك بن هشام - مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٣٦ م .

٢٩) السيرة الحلبية - على بن برهان الدين الحلبى - طبع سنه ١٢٩٢ هـ .

٣٠) أصل الخط العربى - خليل يحيى نامى .

٣١) الشهنامة - أبو القاسم الفردوسى - تعليق الدكتور عبد الوهاب عزام - طبع دار الكتب ١٩٣٢ م .

٣٢) العالم العربى - نجلاء عز الدين - ترجمة محمد عوض إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية .

٣٣) العراق وما توالى عليه من حضارات - الدكتور حسن عون - مطبعة رويال .

٣٤) العرب قبل الإسلام ـ جرجى زيدان ـ طبع دار الهلال ـ مراجعة الدكتور حسين مؤنس .

٣٥) العشر مقالات فى العين ـ حنين بن إسحق ـ مقدمة ماكس مايرهوف ـ المطبعة الأميرية القاهرة سنه ١٩٢٨ م .

٣٦) العقد الفريد ـ أبوعمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٧) العلوم عند العرب ـ قدرى حافظ طوقان ـ مكتبة مصر .

٣٨) الفلسفة اللغوية ـ جرجى زيدان .

٣٩) الفلسفة فى الشرق ـ بول ماسون أورسيل ـ ترجمه محمد يوسف موسى ـ طبع دار المعارف بمصر .

٤٠) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ـ الدكتور شوقى ضيف ـ طبع دار الفد ، ونشر مكتبة الاندلس سنة ١٩٥٦ م .

٤١) الفهرست ـ ابن النديم ـ مطبعة الاستقامة .

٤٢) القومية العربية ـ الدكتور حازم زكى نسيبه ـ ترجمة عبد اللطيف شرارة ـ دار بيروت للطباعة والنشر سنه ١٩٥٩ م .

٤٣) الكامل فى التاريخ ـ لابن الأثير الجزرى ـ طبع بولاق .

٤٤) اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ـ إقليمس يوسف داود ـ طبع الموصل فى دير الآباء الدومنيكيين سنه ١٨٩٨ م .

٤٥) المسالك والممالك ـ ابن خرداذبه ـ طبع ليدن سنه ١٨٨٩ م .

٤٦) المعجزة العربية ـ ماكس فانتاجو ـ ترجمة رمضان لاوند ـ طبع دار الكشاف ـ بيروت سنه ١٩٥٤ م .

٤٧) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم - صلاح الدين الصفدى - المطبعة الأزهرية

٤٨) المفضليات - أبو الحسن المفضل بن محمد الضبى - شرح حسن السندوبى سنة ١٩٢٦م .

٤٩) الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى - تحقيق محمد بن فتح الله بدران - مطبعة الأزهر .

٥٠) انتصار الحضارة - جيمس هنرى برستد - ترجمه الدكتور أحمد فخرى .

٥١) إيران فى عهد الساسانيين - تأليف كريستنسن وترجمة الدكتور يحى الخشاب طبع القاهرة سنه ١٩٥٧ م .

٥٢) بحوث ودراسات إسلامية - الأستاذ محمد خلف الله - طبع مكتبة النهضة المصرية .

٥٣) بلاد ما بين النهرين - ل . ديلابورت - ترجمة محمد كمال المطبعة النموذجية .

٥٤) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - الدكتور ابراهيم سلامة - طبع أحمد مخيمر .

٥٥) بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب - السيد محمد شكرى الألوسى - مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

٥٦) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - مطبعة الهلال سنه ١٩١١م

٥٧) تاريخ أبى الفدا - طبع القسطنطينية - سنه ١٢٨٦ هـ .

٥٨) تاريخ الأدب السريانى - الدكتور مراد كامل - طبعة المقتطف .

٥٩) تاريخ التمدن الإسلامى - جرجى زيدان - مطبعة الهلال سنه ١٩٣٥م .

٦٠) تاريخ التربية الإسلاميـــة - الدكتور أحمد شلبي - دار الكشاف بيروت سنه ١٩٥٨ م .

٦١) تاريخ الحضارة الإسلامية - ف. بارتولد - ترجمة حمزة طاهر .

٦٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة - جمال الدين القاسمى - طبع القاهره ١٣٣١ هـ

٦٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الدكتور فيليب حتى - ترجمة الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافق - دار الثقافه ببيروت سنه ١٩٥٨ م .

٦٤) تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى - دار العلم للملايين الطبعة الأول سنه ١٩٤٨ م

٦٥) تاريخ الطب عند العرب - عيسى إسكندر معلوف - دمشق سنه ١٩٢٥ م

٦٦) تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة - عيسى اسكندر المعلوف دمشق سنه ١٩٢٥ م .

٦٧) تاريخ العرب - فيليب حتى - ترجمه محمد مبروك نافع سنه ١٩٥٢م .

٦٨) تاريخ الفلسفة فى الإسلام - ت . ج دى بور ترجمة محمـــد عبد الهادى أبو ريده - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٦٩) تاريخ الفكر العربى - إسماعيل مظهر سنه ١٩٢٨ م .

٧٠) تاريخ كلدو وآثور - أدى شير - طبع فى المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ج١ سنه ١٩١٢م و ج ٢ سنه ١٩١٣م.

٧١) تاريخ الآداب العربية - كارل نالينو - طبع دار المعارف بمصر سنه ١٩٥٤ م .

٧٢) تاريخ الإسلام السياسى الدكتور حسن إبراهيم حسن - الطبعة الثالثة مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م

٧٣) تاريخ العلم الجزء الأول جورج سارتون - ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد - مطبعه السعادة بمصر سنه ١٩٥٨ م .

٧٤) تاريخ اللغات السامية - اسرائيل ولفنسون - مطبعة الاعتماد سنه ١٩٢٩م

٧٥) تاريخ اليعقوبى - احمد بن جعفر اليعقوبى - ط. سنه ١٨٨٣ .

٧٦) تاريخ حكماء الإسلام - ظهير الدين البيهقى - مطبعة الترقى بدمشق سنه ١٩٤٦ م .

٧٧) تاريخ مختصر الدول - ابن العبرى - المطبعة الكاثوليكية سنه ١٨٩٠م .

٧٨) تاريخ مصر فى عصر البطالمة - الدكتور إبراهيم نصحى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنه ١٩٤٦ م .

٧٩) تخريج نصوص أرسططالية فى كتاب الحيوان - الدكتور طه الحاجرى بحث فى مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٥٢ م .

٨٠) تراث فارس - فصول كتبها طائفة من المستشرقين - عربها بعض أساتذة جامعة القاهرة سنه ١٩٥٩ م .

٨١) تمهيد لتاريخ الفلسفة - مصطفى عبد الرازق .

٨٢) ثلاث رسائل - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - الأولى فى الرد على النصارى ط. القاهرة ١٩٢٦ م .

٨٣) ثمرات الأوراق - ابن حجة الحموى - على هامش المستطرف فى كل فن مستظرف ط. شرف موسى ١٣٠٢ هـ

٨٤) حضارة الإسلام - جوستاف جرونيباوم - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .

٨٥) حضارة العرب ـ غوستاف ليبون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ مكتبة مصر بالفجالة .

٨٦) حضارة مصر والشرق القديم ـ إبراهيم رزقانه وآخرون ـ دار مصر للطباعة .

٨٧) خطط الشام ـ محمد كرد على ـ المطبعة الحديثة ـ دمشق سنة ١٩٢٥ م .

٨٨) دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدى ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٤ م .

٨٩) دليل الراغبين فى لغة الآراميين ـ طبع فى الموصل فى دير الآباء الدومنيكيين سنه ١٩٠٠ م .

٩٠) سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجى ـ مطبعة محمد على صبح سنه ١٩٥٣ م .

٩١) شرح ديوان الأعشى ـ الدكتور محمد حسين ـ المطبعه النموذجية .

٩٢) شعراء النصرانية ـ لويس شيخو ـ مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٨٩٠ م .

٩٣) صبح الأعشى ـ القلقشندى ـ الجزء الاول .

٩٤) صفة جزيرة العرب ـ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ـ طبع ليدن سنه ١٨٨٤م .

٩٥) طبقات الأمم ـ صاعد بن أحمد الأندلسى ـ ط. محمد مطر .

٩٦) عصر المأمون ـ أحمد فريد الرفاعى ـ طبع القاهرة ١٩٢٧م .

٩٧) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ـ أوليرى ـ ترجمة الدكتور

وهيب كامل - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنه ١٩٦٢م .

٩٨) عيون الأخبار - ابن قتيبة الدينورى جـ٣ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م .

٩٩) عرض تاريخى لفلسفة العلم - ا. دولف - ترجمة محمد عبد الواحد خلاف - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م .

١٠٠) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - ابن أبى اصيبعة - جـ١ ، جـ٢ الطبعة الأولى المطبعة الوهبية .

١٠١) فتوح البلدان - البلاذرى - ط . شركة طبع الكتب العربية سنه ١٩٠٠ م .

١٠٢) فجر الإسلام - أحمد أمين - مطبعة الاعتماد ١٩٢٨ م .

١٠٣) فن الشعر لأرسطو - الدكتور عبد الرحمن بدوى - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ .

١٠٤) فى التصوف الإسلامى وتاريخه - رينولد ا. نيكولسون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ م .

١٠٥) قصة الأدب فى العالم - أحمد أمين وزكى نجيب محمود جـ١ - مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ١٩٤٣م .

١٠٦) كتاب الوزراء والكتاب - أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى - مطبعه مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٨ م .

١٠٧) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - ابن خلدون جـ٢ ط م سنة ١٢٨٤ هـ .

١٠٨) كشف الظنـــون عن أسامى الـكتب والفنون ـ ١ ، جـ ٢ ط ، سنه ١٩٤١ م .
١٠٩) مدرسة نصيبين الشهيرة ـ أدى شير ـ طبع فى المطبعة الـكاثوليكية ببيروت ١٩٠٥ .
١١٠) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ الراغب الأصفهانى ـ المطبعة الشرقية
١١١) محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب ـ جويدى .
١١٢) مختصر كتاب البلدان ـ ابن الفقيه ـ طبع ليدن سنه ١٨٨٥ م .
١١٣) مروج الذهب ـ أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ـ المطبعه البهية المصرية سنه ١٣٤٦ هـ .
١١٤) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ـ ابن فضل الله العمرى .
١١٥) مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ـ أوليرى ـ ترجمة الدكتور تمام حسان .
١١٦) مصر والشرق القـديم جـ ٣ سورية ـ الدكتور نجيب ميخائيل ـ الطبعة الأولى سنه ١٩٥٩ م دار المعارف بمصر .
١١٧) مفاتيح العلوم ـ الخوارزمى ـ مطبعة الشرق سنه ١٣٤٢ هـ .
١١٨) مقدمة فى تاريخ الطب ـ الدكتور التيجانى الماحى ـ مطبعة مصر ـ السودان سنه ١٩٥٩ م .
١١٩) موجز تاريخ العـالم ـ هـ. ج. ويلز ـ ترجمـة عبد العزيز توفيق جاويد ـ مطبعة السعادة سنة ١٩٥٨ م .

١٢٠) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام - الدكتور على سامى النشار - مطبعة أحمد مخيمر سنه ١٩٤٧ .

١٢١) وفيات الأعيان - ابن خلكان ج١ ، ج٢ ط. بولاق سنة ١٢٩٩ هـ.

122) Arabia Before Muhammad – O, LEARY.

123) How Greek Science Passed To the Arabs., O'LEARY

124) Islam and Christian Theology vol. 1
j. Windrow sweetman.

فهرس الكتاب

الباب الأول

الباب الثانى

رابعا : الرها (٧٣ — ٨٠)

ازدهار الحضارة الآرامية فى بيئة الرها (٧٣ - ٧٤) ، مظاهر التأثر باليونان فى اللغة السريانية (٧٤ - ٧٥) ، الأديرة وأثرها فى الفكر العربى (٧٥ - ٧٦) ، النشاط الثقـــافى لمدرسة الرها وصلتها بمدرسة نصيبين (٧٧) ، وفود أساتذة مدرسة الرها إليها من نصيبين بعد الانشقاق النسطورى (٧٨ - ٨٠) .

خامسا : نصيبين (٨١ - ٨٨)

مدرسة نصيبين الأولى والهدف من تأسيسها (٨١ - ٨٢) ، المشرفون عليها (٨٢) وقوعها فى أيدى الفرس وهجرة أساتذتها إلى الرها (٨٣) .

مدرسة نصيبين الثانية : الظروف التى أحاطت بافتتاحها (٨٤) ، معلموها (٨٥ - ٨٦) ، نظام الدراسة بها واهتمامها باللاهوت المسيحى (٨٦-٨٧) ، ضعف تأثيرها فى العرب (٨٨)

الباب الثالث

جهود السريان فى الحضارة الإسلامية (٨٩—١١٤)

الأسباب التى أدت إلى عـــدم الاهتمام بتاريخ العرب فى الجاهليـة والنتـائج التى ترتبت على ذلك (٩١) أثر السريان فى الجانب الحضـارى من حياة العرب قبل الإسلام (٩٢) .

فى دولة الأنباط : استعمال الآرامية فى الكتابة (٩٢) اقتباس عرب الشمال أبجديتهم من الآرامية (٩٣) .

فى تدمر : شيوع الآرامية (٩٤) - قيـــام حضارة عربية متـأثرة بالحضارة الإغريقية (٩٤)

في إمارة الغساسنة :

العوامل التي مهدت للتأثير السرياني (٩٥) اليعاقبة ونقل الثقافة اليونانية إلى الغساسنه (٩٦) . انتشار الأديرة والبيع (٩٥) دور الغساسنه في نقل الحضارة السورية إلى الحجاز (٩٦) .

في إمارة الحـــيرة :

معظم أهل الحيرة سريان نساطرة (٩٧ - ٩٨) ، استعمال اللغة السريانية بين عرب الحيره وآثاره (٩٨ - ٩٩) ، دور أديرة الحيره في تقوية الأثر السرياني (٩٩ - ١٠٢) ، دور أهل الحـــيرة في التمهيد للتأثير النسطوري بين العرب (١٠٢) ، خروج الإرساليات النسطورية من الحيرة إلى الجزيرة العربية (١٠٣) ، ارتباط الحيرة بنجران بواسطة طريق تجاري (١٠٣) انتشار المسيحية في نجران (١٠٣ - ١٠٤) ، ارتباط الحيرة بنجران بواسطة طريق تجاري (١٠٣) ، انتشار المسيحية في نجران (١٠٣ - ١٠٤) .

وضوح الطابع المسيحي في بعض جوانب الفكر العربي قبل الإسلام (١٠٥-١٠٧) . الوثنية العربية ، وصلتها بالوثنية اليونانية والسريانية (١٠٨) القلق الديني إزاء تعدد الأصنــام (١٠٩ - ١١٠) بعض مظاهر التـأثر بالمسيحية في الشعر الجاهلي (١١١ - ١١٢) مناقشة من يزعمون أن الرسول (ص) اقتبس بعض الآراء من اليهودية والمسيحية (١١٢- ١١٣) الإسلام يمثل المنهج الديني المتكامل (١١٣ - ١١٤)

الباب الرابع

الفرق الإسلامية صدرت عن القرآن ، وتأثرها بالمذاهب الأجنبية كان لاحقا على نشأتها (١٦٣ - ١٦٤) .

الباب الخامس

حركة النقل فى العصر العباسى (١٦٥ — ٢١٦)

الفصل الأول :

الفصل الثانى .

الفصل الثالث :

رقم الايداع بدار الكتب ٣٣٩٦ / ١٩٧٥

دار النجاح للطباعة
٩ شارع كلية الطب محطة الرمل
تليفون ٢٢٤٩٤ اسكندرية



